سلسلة الحضارة الصينية

تجسيد تاريخ طويل

استكشاف الحضارة الصينية

أثواب فخمة مزينة

الملبوسات والإكسسوارات الصينية

رؤساء التحرير: باي وي وداي هيبينغ

تأليف: زانغ يينغ شان وشو كيان



BEIJING PUBLISHING GROUP



تتناول هذه السلسلة مواضيع متنوعة؛ كالشخصيات الصينية، والمسرح، والموسيقى، والرسم، وتنسيق الحدائق، والعمارة، والغناء الشعبي، والطب، والحِرَف التقليدية، والفنون القتالية، والعادات، والتقويم الشمسي، فضلاً عن الملاحم والأساطير، والحليّ والمجوهرات، والأدوات البرونزية، وفنّ الخطّ والأدب الصيني. لذا، لا بدّ تُثري معارف القارئ المهتم بتاريخ الصين العريق.

وفي هذه السلسلة، سيبحر القارئ مستطلعاً صوراً مدهشة تتراكب بشكل متقن في كتب تصل به إلى قلب الحضارة الصينية وهو في مكانه؛ حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعتادوا القراءة في هذه المواضيع. مما يجعل منها كتباً مناسبة لكل من الكبار في السن والشباب على حد سواء. فالقراءة متعة بحد ذاتها، وهي تُطوِّر القدرات والمعارف لكل من يختار الإبحار في عالمها الرحب.

صدر من هذه السلسلة:

- أثواب فخمة مزينة — الملبوسات والإكسسوارات الصينية
- تقليد الطبيعة — الحدائق الصينية
- الحجر الأنيق — تحف الجاد الصينية
- الوسائل الطبيعية — الطب الصيني التقليدي
- الدمج الأمثل بين الكونغ فو والتربية الطاوية — الفنون القتالية الووشو الصينية
- أسرار فينولوجية في الأغنية الشعبية — الفصول الشمسية الصينية
- السحر الأزلي — العمارة الصينية
- التشابه والتغاير — فن الرسم الصيني
- ازدهار أمة بفضل العلوم — العلوم والتكنولوجيا في الصين
- ألحان من الروح — الموسيقى الصينية
- الترفيه مع الفن الغنائي والسردي الشفهي — الكيو يي الصينية
- الاحتفالات والشعائر والآداب الشرقية — الأدوات البرونزية الصينية
- تعبير عن الروح — الخط الصيني
- عالم صغير — الأحرف الصينية
- أهمية المشاعر — الأدب الصيني
- طفولة حضارة — الأساطير والخرافات الصينية
- كلّ متكامل بين العالمين العقلي والمادي — الفنون والحرف الصينية التقليدية
- عائق التاريخ الطويل — الأوبرا التقليدية الصينية


ISBN 978-614-01-2012-9



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



سلسلة الحضارة الصينية

تجسيد تاريخ طويل
استكشاف الحضارة الصينية

风度華服

الملبوسات والإكسسوارات الصينية

أثواب فخمة مزينة

رؤساء التحرير: باي وي وداي هيبينغ

إعداد: زانغ يينغ شان وشو كيان



B&R BOOK PROGRAM

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Luxuriant Garments with Grace
Chinese Apparel and Accessories

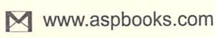
الطبعة الأولى
1438 هـ - 2017 م

ردمك 978-614-01-2003-7



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic



التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

مقدمة عامة
لسلسلة استكشاف الحضارة الصينية

في عالمٍ يزداد وقعُ الحياة فيه تسارعاً، وتصبح الثقافات المختلفة أكثر اتصالاً ببعضها بعضاً، نجد الكثير من الكتب التي تقدّم للثقافات والحضارات المتنوعة. ولا شكّ في أنّ أيّ جهد مبذول في إطار التشجيع على القراءة والتعريف بالثقافات والحضارات مطلوبٌ وهامٌّ.

وفي يومنا هذا، صار من الممكن العثور على الكثير من الكتب التي تتناول الثقافات والحضارات الشعبية. غير أنّه لا يُخفى على أحد أنّ نشر الثقافة على أيدي علماء مختصين أمر مهم؛ كي يستطيع عامة الناس الانتفاع من خلاصة ثقافات الشعوب. وهذا تحديداً ما أقدم عليه نخبة من العلماء المتخصصين الذين تركوا بصماتهم في مختلف ميادين المعرفة؛ بنشرهم سلسلة كتب استكشاف الحضارة الصينية. وقد حرصوا في عملهم هذا على أن تكون الأفكار واضحة، والكتب سهلة الفهم؛ بعكس الأسلوب الأكاديمي التقليدي في مقاربة التاريخ. وتتناول هذه السلسلة مواضيع متنوعة؛ كالشخصيات الصينية، والمسرح، والموسيقى، والرسم، وتنسيق الحدائق، والعمارة، والغناء الشعبي، والطب، والحِرَف التقليدية، والفنون القتالية، والعادات، والتقويم الشمسي، فضلاً عن الملاحم والأساطير، والحليّ والمجوهرات، والأدوات البرونزية، وفنّ الخطّ والأدب الصيني. لذا، لا بدّ تُثري معارف القارئ المهتم بتاريخ الصين العريق.

وفي هذه السلسلة، سيبحر القارئ مستطلعاً صوراً مدهشة تتراكب بشكل متقن في كتب تصل به إلى قلب الحضارة الصينية وهو في مكانه؛ حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعتادوا القراءة في هذه المواضيع. مما يجعل منها كتباً مناسبة لكل من الكبار في السن والشباب على حد سواء. فالقراءة متعة بحد ذاتها، وهي

تُطوِّر القدرات والمعارف لكل من يختار الإبحار في عالمها الرحب.

الحضارة بشكل عام هي المنبع الروحي لكل أمة، وهي القوة التي تدفع الشعوب إلى المزيد من التقدم والإبداع. والحضارة الصينية على وجه الخصوص هي الوحيدة بين الحضارات الإنسانية التي يمكنها أن تفخر بتطور مستمر وغير منقطع امتد خمسة آلاف سنة. وخلال هذا التاريخ الطويل، بكل ما رافقه من عمليات تحوّل وتقلّب، أظهر الصينيون ما يتميزون به من مثابرة وجدّ، فضلاً عن التفاؤل واللطف المعروفَين عنهم. فهذا الشعب يحترم الطبيعة، ويحب العيش بتناغم معها، كما أنه شديد التسامح والتقبل للحضارات الأخرى التي ما فتئ يمتص تأثيرها ويدرسها قبل أن يستوعبها، محوِّلاً إياها إلى جزء من حضارته وثقافته. وقد لعبت حكمة الأمة الصينية وإبداعها في الماضي دوراً لا غنىً عنه في تقدم الحضارة الإنسانية كما نعرفها اليوم، وهي حتى يومنا هذا لا تزال تبرهن عن قدرتها على التجدد وترسيخ قيمها التي تتمثل في المحبة والكرم والسعي إلى تحقيق السلام والسعادة لأبناء البشر؛ وكلّها صفات تمثّل تقاليد الأمة الصينية خير تمثيل.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي التقاليد؟ التقاليد هي الثقافة الموروثة والمتطورة عبر الأجيال. ولا تزال الحضارة الصينية- بعد آلاف السنين- مستمرّةً في مسيرتها التطورية على أيدي الأجيال الجديدة، ولا يزال الشعب الصيني ذو الحضارة المجيدة يبني إرثه الغني ليصنع تاريخاً جديداً مبنياً على أخلاقياته الرفيعة والعريقة دون توقف أو انقطاع.

المقدمة

الحضارة الصينية متمثلة في الأثواب الفخمة والاكسسوارات الجميلة

كدولة متحضرة بتاريخ عريق يعود إلى 5000 سنة تعرضت الصين لتغيرات كبيرة ساعدت في تشكيل نظام ثقافي عميق ذي أثر كبير، وكانت الملابس التقليدية جزءاً لا يتجزأ من تلك الثقافة حيث عكست ثقافة الملابس التقليدية الإصلاح السياسي والتطور الاقتصادي والتغيرات في عادات المجتمع الصيني كما عكست المظهر الروحي والثقافي للشعب الصيني في مراحل مختلفة من التاريخ. وخلال 5000 عام تطورت الملابس الصينية التقليدية إلى نظام ثقافي متنوع وغني وشرقي وفريد مما منحه أثراً عميقاً ومستمراً على العديد من البلاد وخاصة باقي بلاد آسيا.

هذا الكتاب مقسم إلى ستة فصول يصف الأول ملابس السلالات السابقة من ماني فو الأباطرة إلى بوزي فو المسؤولين ومن نظام الأكاليل والقبعات إلى البذلات العسكرية ومن سترة الفروسية الصفراء إلى البذلة الصينية. كما تم اختيار ملابس واكسسوارات مميزة من العديد من المراحل التاريخية لإظهار المعنى الإنساني العميق وأمجاد الحضارة الصينية. ويظهر الفصل الأول كيف بدأ النظام القديم للملابس والأكاليل ويظهر طراز ماني فو الذي يرتديه الأباطرة وأشكال الزينة الاثني عشر التي تمثل القوة الإمبراطورية كما يناقش أزياء واكسسوارات الطبقة الحاكمة كبوزي فو وسترة الفروسية الصفراء التي ارتداها المسؤولون القدماء. أما الفصل الثاني فيناقش نظام الأكاليل والقبعات والشنيون بأشكاله المختلفة وربط أقدام النساء والزينة كما يناقش التقاليد الصينية الفريدة المتمثلة بمقولة "لا يترك الرجل النبيل اليشم بدون سبب وجيه". في حين أن الفصل الثالث والرابع يناقشان أزياء الرجال والنساء في قديم الزمان بما فيها شي ني وباو فو والسراويل والملابس

الداخلية وبي زي والبذلات العسكرية والسلاح والأنواع المتعددة من الملابس المنتشرة خلال عهد سلالة تانغ. ويناقش الفصل الخامس الملابس في بداية القرن العشرين حيث بدأت الصين بعد ثورة تشين هاي عام 1911 باتباع سياسة الباب المفتوح ولم تعد منغلقة عن العالم الخارجي بل سمحت لرياح الحضارة الغربية بدخولها، وقد أنتج التأثير الثقافي الناتج تغيرات كبيرة في أزياء النساء والرجال، وفي الجزء الأخير من ذلك الفصل توجد مقدمة لبيرا غي وهو نوع من ثوب من قطعة واحدة ارتدته النساء في بداية الصين الحديثة (-1949) والجينز الذي حظي بشهرة واسعة في الصين بعد الإصلاح والانفتاح (-1978). ويقدم الفصل الأخير وصفاً مبسطاً للاكسسوارات والأزياء التي ترتديها الأقليات العرقية التي تنقسم إلى قسمين وفقاً للمواقع الجغرافية لهذه الأقليات في الشمال والجنوب حيث توجد 55 أقلية عرقية في الصين ولكل منها نظامها الثقافي الفريد وتقاليدها الخاصة بالملابس.

ووفقاً للطرق التاريخية المختلفة تستمر الاختلافات الواضحة بين الصين والدول الغربية في مجالات كالفلسفة والثقافة والدين والجوانب الحضارية الأخرى بما فيها ثقافة الملابس، فبشكل عام الملابس الصينية محافظة في حين تشجع ثقافة الملابس الغربية على إظهار الشخصية والفردية. وسنقارن في هذا الكتاب بين الإيحاءات والمميزات الثقافية للأزياء الغربية والصينية ليفهم القارئ على نحو أفضل الملابس المختلفة من الخلفيات الثقافية المختلفة.

فقد تأثرت الملابس الصينية القديمة بالكنفوشية حيث عكس طراز الأثواب مهمته الطبيعية في تغليف الجسم البشري بالإضافة إلى الدور الاجتماعي في اتباع التقاليد والآداب الاجتماعية. ووفقاً لفكرة الكنفوشية المتمثلة في "الانسجام بين الإنسان والطبيعة" فإن طراز الملابس يظهر الثقافة الصينية التقليدية ويظهر الجمال الروحي والمفاهيم الفنية المهمة في تصميم وصناعة الملابس

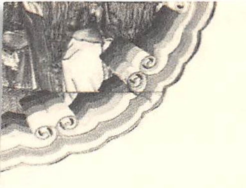
والاكسسوارات القديمة. وهذا يتم إنجازه عن طريق القص العريض لترك مساحة كبيرة بين الثوب والجسم حيث يؤكد طراز «الثوب الواسع والحزام العريض» على مفاهيم الأثيرية والأناقة التي تحمل معنى جمالياً عالي القيمة في الصين لآلاف السنين. ويتفق هذا المعنى الجمالي مع هدف تحقيق الوحدة بين الشكل والروح ومع الطراز المتحرر المتبع في الأشكال الأخرى من الفنون الوطنية كالرسم والرقص والخط والنحت والأدب. وبالإضافة إلى ذلك كانت الملابس الصينية دائماً تعكس الجماليات الاجتماعية وتحقق الأمان القومي مما دفع الحكام من جميع السلالات للانتباه إلى تأثير نظام الملابس والأكاليل في تفكير وسلوكيات الناس من جميع الطبقات الاجتماعية.

وقد تطورت الملابس الغربية من الطراز الواسع في جنوب أوربا إلى الضيق في الشمال لتظهر الفترة القوطية في العصور الوسطى ذلك الانقسام حيث احتفل الناس في روما واليونان قديماً بجمال الجسد البشري ولم يشعروا بأي حرج من العري، فكانت ملابسهم قطعاً بسيطة من القماش الملفوف أو المربوط حول أجسامهم لتشكيل ثنيات جميلة وطبيعية. وخلال العصور الوسطى كبتت الثقافة الصينية إعجاب البشر بجمال الجسد لتبدأ النساء بإخفاء أنفسهن تحت الملابس والخمار. وفي الفترة القوطية في القرون 13 حتى 15 تغير المجتمع الأوربي وانتشر مذهب المتعة لتظهر ملابس النساء المزيد من أجسادهن وأشكالهن مما عزز إدخال طريقة القص ثلاثية الأبعاد، وبعد تلك المرحلة تطورت ثقافة الملابس في الشرق والغرب بطرق مختلفة حيث دخلت الملابس الغربية حقبة الملابس الضيقة. ومن منتصف القرن 15 حتى نهاية القرن 18 دعت النهضة في أوربا إلى إظهار الطبيعة البشرية وبدأت النساء باستخدام المشدات والبطانات ليرتدين ملابس تتوافق مع معايير الجمال الذكورية. وبعد الثورة الصناعية في القرن 18 أصبحت الطبقة البرجوازية أحد دعائم المجتمع فعززت الحاجات الصناعية التغير النوعي في ملابس الرجال مما أدى إلى ظهور الملابس الرجالية الحديثة. أما ملابس

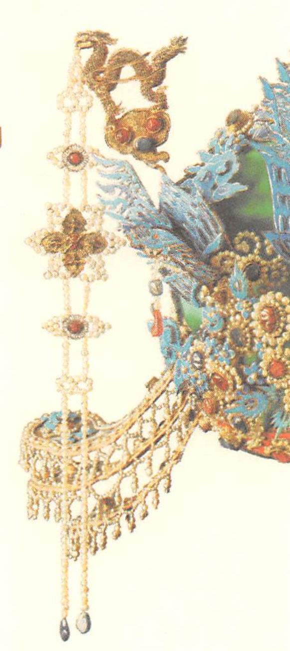
النساء فلم تتغير من طرازها المنمق للعصور الإقطاعية حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914، ومنذ ذلك الحين دخلت ملابس النساء فترة حضارية جديدة.

وعموماً كان الناس في الغرب يركزون على الفصل بين العالم الشخصي والعالم الموضوعي فصمموا ملابس بطريقة علمية وعقلانية حيث كان الغربيون يرون الملابس كمنحوتات ناعمة وفضلوا الملابس ذات التأثير ثلاثي الأبعاد فكانت الزينة حتى جميلة بطريقة ثلاثية الأبعاد، وعلى سبيل المثال استخدمت الستر الرجالية من عصر النهضة الكفافات ثلاثية الأبعاد لتزيين الملابس كما استخدمت مواد الحزم لملء الثنيات في ملابس النساء والأحزمة في ملابس الرجال لتعزيز تأثير طبقات الملابس. وبالإضافة إلى ذلك فإن تصميم الملابس الغربية عموماً اتبع طرق الاختصار ودمج الثنيات والقص لجعل قطعة القماش تبدو مجسمة وتلتصق بالجسم لإظهار جمال انحناءاته وهكذا أصبح بالإمكان متابعة جمال الأثواب بطريقة علمية وعقلانية.

ويحاول هذا الكتاب بطريقة بليغة باستخدام الرسومات تقديم أهم الملابس والاكسسوارات من جميع السلالات الصينية ودراسة الإيحاءات الثقافية لهذه الملابس.



المحتويات

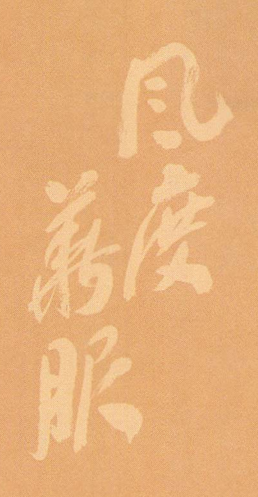












الملبوسات والإكسسوارات الصينية

الفصل الأول

أصل الأثواب والأكاليل: فجر الحضارة

ملابس السلطة الإمبراطورية

أدى تطور المجتمع البشري من الأنظمة البدائية المبكرة إلى الأنظمة المركزية كمجتمعات العبودية والإقطاعية إلى ظهور الطبقات الاجتماعية. وليبقى الحكام في السلطة، لجأوا بالإضافة إلى استعمال العنف إلى التحكم بسلوك الشعب من خلال تعزيز الطبقية الاجتماعية؛ مما أدى إلى ظهور أنظمة آداب التعامل. وقد كان نظام آداب التعامل الإمبراطوري أو الملكي ذو الطبقية الصارمة في الصين القديمة هرمياً، مما ساعد في حماية النخبة الحاكمة وتعزيز الاستقرار الاجتماعي.

وقد ورد في يي شي سي 2 أن هوانغ دي وياو وشون كانوا خلال حكمهم للبلاد يرتدون ملابس تعكس الثقافتين المادية والروحية للبلاد (الصورة 1-1)، وكانت ثقافة الملابس جزءاً متكاملاً من نظام آداب التعامل، ولها دلالات طبقية عميقة. ووفقاً للعديد من الأنظمة المتعلقة بالملابس، كان الحكام يصنفون الناس إلى طبقات اجتماعية مختلفة لا يسمح بأي انتقال عشوائي بينها. وبالتالي، بالإضافة إلى كونها تدفئ الناس، تعكس الملابس أيضاً الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها. وقد فرضت الطبقة الحاكمة أنظمة صارمة على صناعة الملابس وتوزيعها واستخدامها للحفاظ على النظام الاجتماعي المطلوب.



الصورة 1-1 يو بوضعية الوقوف رسمه ما لين من سلالة سونغ، وهذه اللوحة مأخوذة من مجموعة في معبد مان شون في هوزو في مقاطعة زي جيانغ

كرئيس لقبيلة قديمة، أمر يو بالتحكم بالماء لمنع الفيضانات، وقد استمر ذلك النظام لمدة 13 عاماً، ويقال إنه على الرغم من تبلله بمياه الأمطار بالكامل، فإن يو مر بمنزله ثلاث مرات ولكنه لم يلجأ إليه لأنه كان ملتزماً بالتحكم بالماء. في الصورة، يظهر يو مرتدياً غان ميان مزيناً بأشكال الزينة الاثني عشر كالشمس والقمر والنجوم، وميان غوان فخماً، ويحمل هو بان. ويظهر ممتلئ الجسم وناعم البشرة وأبوي الملامح إلى جانب سلوكه الإمبراطوري.



الصورة 1-2 نسخة جديدة عن فوشو روي غان فو مزينة بأشكال الزينة الاثني عشر من عهد سلالة مينغ

ارتدى هذا الثوب الإمبراطوري الإمبراطور زو يي جون، ويبلغ طوله 136 سم كما أنه عند فتح كلا كميه يبلغ عرضه 233 سم في حين يبلغ عرض الكم الواحد 55 سم وعرض الكتف 41 سم كما يبلغ محيط الحاشية السفلية 105 سم. وتشكل أشكال الزينة الاثنا عشر الشكل الرئيسي المصمم على غان فو إذ توجد ثلاثة تنانين في الأمام والخلف واثنين على الأكتاف والجوانب، ووضعية كل تنين مميزة حيث يكون وجه بعضهم للأمام وبعضهم ملتفتين جانباً وبعضهم يرتفعون ويعضهم ينزلون للأرض كما أن أرواحهم تجعلهم يبدون أقوياء ومفعمين بالحيوية. وهناك غيوم وأمواج وسبائك ذهب وأحجار بحرية وأشرطة والكنوز الثمانية مطرزة حول التنانين. وبالإضافة إلى ذلك هناك 256 حرفاً صينياً تعني «طول العمر» مطرزة على الثوب بالإضافة إلى 301 شكل من الخفافيش و271 روي لإرسال رسالة أن الإمبراطور سينعم بحياة أطول وثروة أكبر من الرجال الآخرين.

في أعلى هرم الهيكلية الاجتماعية يأتي الإمبراطور القديم؛ وهو الحاكم الأعلى للبلاد، ثم يأتي من بعده النبلاء والمسؤولون الذين يذعنون للإمبراطور بالكامل ويلتزمون بطبقاتهم الاجتماعية الصارمة (الصورة 1-2).

وفي الصين القديمة، كان الإمبراطور يدعى «ابن السماء»، وهو يحكم الشعب كممثل للآلهة. وبالتالي، بالإضافة إلى التعبير عن الاحترام اللامتناهي للعالم، من المتوقع منه أيضاً أن يتواصل مع آلهة الكون، ولتسهيل ذلك تم وضع القواعد وآداب التعامل، كما تمّت إقامة مراسم تضحية ضخمة في أوقات محددة وفي تواريخ محددة ذات فأل حسن في كل عام. وقد تم صنع ميان فو وهو ثوب احتفالي فخم للاستخدام في تلك المراسم. (الصورة 1-3)

وقد كان ميان فو أفخم ثوب يرتديه الإمبراطور في مراسم التضحية، وهو يعبّر عن العوامل الروحية للثقافة الصينية التقليدية كالطبيعة والعلاقات الإنسانية والأوامر الشعائرية، كما يعبر بأعلى الدرجات عن فكرة الهرمية التي وضعها الحكام لحماية سيادتهم، وقد خلق ذلك النظام معنى ثقافة الملابس الصينية القديمة وخصائصها.

ويتكون الميان فو على نحو رئيس من شواني (وهو قطعة ملابس علوية) وشون شانغ (قطعة ملابس سفلية) ويتم ارتداؤه عموماً مع تاج وحزام وشي شي (حذاء أحمر)، ويقال إن هذا الزي تمت خياطته وفقاً لمنظر الكون، حيث القطعة العلوية يي واسعة وبكمين عريضين، ويكون الطرف الأيسر فيها مربوطاً بالطرف الأيمن لتشكيل ياقة متقاطعة تدعى يورين. أما القطعة العلوية فكانت سوداء محمرة وتدعى





الصورة 1-3 تفاصيل من الرسم: أباطرة من سلالات سابقة، الرسام هو يان ليبين من عهد سلالة تانغ

الإمبراطور وين من سلالة سوي (الثالث من اليمين) يرتدي ميان غون وميان فو يتكون من يي علوي باللون الأسود المائل للحمرة، وشانغ سفلي برونزي اللون ومذهب ومزين بأشكال الزينة. ويتم ارتداؤه عادة مع ميان غون، وحزام خصر، وشي شي (زوج من الأحذية الحمراء).


帝廣在位十三年

الصورة 1-4 صورة للميان فو الإمبراطوري

داشيو ميان ويدعى أيضاً ثوب أشكال الزينة الاثني عشر يرتديه الإمبراطور عند حضوره حفل تضحية لعبادة السماء والأرض. وهو من أكثر أنواع الميان فو رسمية. والميان فو مصنف في ستة أنواع؛ وفقاً لعدد وطول ليو من التاج، ونوع «أشكال الزينة» على القماش وعددها. داشيو ميان هو الدرجة العليا، يتبعه غون ميان، ثم بي ميان، وبعدها شوي ميان، ثم شي ميان، وفي المرتبة الأخيرة شوان ميان.

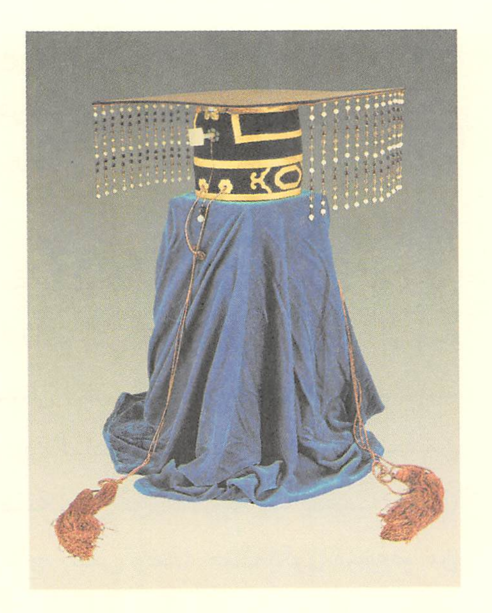
شوان، وهي مثل لون السماء عند بزوغ الفجر، في حين أن الجزء السفلي شانغ وهو شبيه بتنورة ضيقة لونها أحمر مصفر (شان) يمثل لون التراب في أرض واسعة، ويظهر الزي الذي يمثل العالم التبجيل العميق الذي يكنه الشعب الصيني القديم للآلهة. (الصورة 1-4)

أما تاج الإمبراطور فهو قبعة فخمة مصنوعة من ميان بان وميان ليو وجي وهونغ وشونغر التي تعتبر رمزاً لقوة الحاكم التي منحه الاله إياها، كما أن بنية التاج أسطوانية ومغطاة بلوح خشبي يدعى ميان بان. مقدمة ميان بان مستديرة، أما خلفيتها فمربعة؛ مما يرمز إلى الاعتقاد بالسماء المستديرة والأرض المربعة من الثقافة الصينية القديمة. وقد كانت الخلفية أعلى من المقدمة مما يتسبب بانزلاق ميان بان إلى الأمام. وحين يتم اعتمار التاج، ينبغي وضعه حيث يكون منخفضاً من المقدمة، وعالياً من الخلف ليرمز إلى الرعاية التي يظهرها «ابن السماء» لشعبه؛ وهو المصدر الأصلي لكلمة «ميان».

وميان بان مطلي باللون الكحلي من الأعلى وباللون الكهرماني من الأسفل؛ مما يرمز إلى السماء الداكنة والأرض الرمادية المغبرة. وعلى مقدمة ميان بان وخلفيته عُلِّق 12 ليو، كل واحد منها مكون من 12 كرة من حجارة الجاد الكريمة مرتبة بالترتيب؛ الأحمر فالأبيض فالأزرق فالأصفر ثم الأسود، وهي متدلية من خيوط حريرية متعددة الألوان ومعلقة أمام ميان بان وخلفه وتدعى يو زاو؛ وهذا يمثل العناصر الخمسة ومرور الوقت. وعلى كلا طرفي التاج هناك ثقب يدخل من خلاله جي الجاد لتثبيت الشنيون، وفي نهايتي الجي هناك شريط حريري متدلٍ ومتصل مع كرة من الجاد معلقة من كلتا أذنيه، وتدعى الكرة شونغر لتذكير الإمبراطور بألا ينصت للافتراءات أو يصدقها. (الصورة 1-5)

ميان فو مصنف في ستة أنواع، وفقاً لعدد وطول ليو على التاج، ونوع «أشكال الزينة» على الملابس وعددها، ويدعى ذلك «نظام أبناء السماء الستة»، كما يوجد داشيو ميان في الدرجة العليا وغون ميان وبي ميان وشوي ميان وشي ميان وشوان ميان في الدرجة السفلى؛ حيث يرتدي الإمبراطور داشيو ميان حين

يحضر احتفالات التضحية، وداشيو ميان أيضاً اسم حبل الأشكال الاثني عشر للزينة، وهو الميان فو الأكثر رسمية. (الصورة 1-5)



الصورة 1-5 ميان غوان (الإنتاج)

يتشكل ميان غوان من ميان بان وليو وشونغر، وليو ثوب حريري ذو ألوان متعددة، عليه كرات من الجاد مرصوصة بالترتيب الأحمر ثم الأبيض فالأزرق فالأصفر فالأسود، وهي متباعدة عن بعضها مسافة 3.3 سم، وتمثل العوامل الخمسة ومرور الوقت. ومقدمة ميان بان مستديرة أما الخلفية فمربعة؛ مما يمثل الاعتقاد بالسماء المستديرة والأرض المربعة، كما أن الخلفية أعلى من المقدمة؛ مما يجعل ميان بان ينحدر إلى الأمام، وهو ويمثل الرعاية التي يبديها «ابن السماء» لعامة الشعب.

عبر تاريخ الحضارة البشرية، وفي البلاد الأخرى في شرق آسيا كاليابان وكوريا وفيتنام، كان الحكام كالملوك والأمراء يرتدون ميان فو كأفضل ثوب احتفالي. ووفقاً للسجلات التاريخية، إن الإمبراطور الياباني شومو هو أول ملك يرتدي ميان فو في احتفال تضحية ضخم. ومنذ ذلك الحين، صار ميان فو الثوب الاحتفالي الرسمي الرئيس في اليابان.

ويقال في غوريو سا إن الملوك وأولياء العهد قبلوا عدة مرات ميان فو الذي أهداهم إياه الإمبراطور الصيني. وخلال حكم الإمبراطورية الكورية، ذكر الملك أنه ينبغي ألا يرتدي أحد ميان فو باثني عشر شكلاً من الزينة باستثناء الإمبراطور. وحتى هذا الحين، يمكن أحياناً رؤية ميان فو في المناسبات الخاصة في كوريا.



الصورة 1-6 تفاصيل رسم لسلالة تانغ باسم «أباطرة السلالات السابقة»، أعدّها ليان ليبين، وهي تظهر نصباً لسيما يان إمبراطور وو من سلالة جين

كان سيما يان الإمبراطور الذي وحّد البلاد بإيجاده سلالة يين. وهو هنا يرتدي داشيو ميان يتكون من شواني وشون شانغ. الشوان كحلي والشون أصفر محمر؛ مما يمثل السماء والأرض، وعلى يي العلوي طُرّزَت صور للشمس والقمر والنجوم والجبل والتنين وهواشونغ (الفلاح)، أما على شانغ السفلي فطُرّزت صور للنار وزونغي (النمر والقمر) والطحالب والأرز وفو (الفأس). تجْمع كل هذه الصور يدعى أشكال الزينة الاثني عشر. كان داشيو ميان أهم ثوب احتفالي للإمبراطور.



| رمز الإمبراطور: الأشكال الاثني عشر للزينة

في المجتمع البدائي كان الناس جهلة حول عمل الطبيعة، وكانوا يشعرون بالارتباك والخوف والذهول من الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد والمطر والثلج والصقيع والأمواج. وفي تلك المرحلة لم يتمكن الناس من تفسير هذه الظواهر أو التعامل معها لكنهم مع مرور الوقت بدؤوا بالتفكير أن هناك قوى غير طبيعية تهيمن على كل شيء وأن الكوارث الطبيعية سببها غضب الآلهة. وبالتالي بدأ الإنسان البدائي بإظهار الاحترام لهذه الآلهة من خلال حفلات الأضاحي التي كان من المفترض أن تمنع الكوارث وتجلب الحظ الجيد وبالتالي تخلق استقراراً اجتماعياً. ولإظهار إعجابهم بالطبيعة حول الناس العالم الإلهي إلى أشكال ووضعوها على ملابسهم حيث ابتكر الصينيون القدماء عدداً من الأشكال من الطبيعة من أشهر "الأشكال الاثني عشر للزينة" (الشكل 7-1). وتشير الأشكال الاثنا عشر إلى اثني عشر رمزاً مختلفاً تزين ماني فو الذي يرتديه الإمبراطور وتدل على قوة الإمبراطور في الصين القديمة، وهي تمثل الشمس والقمر والنجوم والجبال والتنين وهواشونغ والنار وزون غي والطحالب والأرز وفو. وكانت هناك ستة أشكال على الثوب العلوي وستة على الثوب السفلي لا يمكن الخلط بينها أي أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والتنين وهواشونغ مرسومون على الثوب العلوي في حين أن النار وزونغي والطحالب والأرز وفو مرسومون على الثوب السفلي. وتحمل تلك الأثواب معانٍ أخلاقية عميقة حيث تمثل طبقات المجتمع وهي تغطي معظم القيم المهمة بالنسبة للصينيين القدماء. (الصورة 8-1)

الصورة 1-7 أشكال الزينة الاثنا عشر

تشير أشكال الزينة الاثنا عشر إلى اثني عشر رمزاً مختلفاً وهي الشمس والقمر والنجوم والجبال والتنين وهواشونغ والنار والطحالب والأرز وزونغي وفو، وهي تزين ماني فو الذي يرتديه الإمبراطور. وتظهر هذه الأشكال كرمز لقوة الإمبراطور في الصين القديمة.





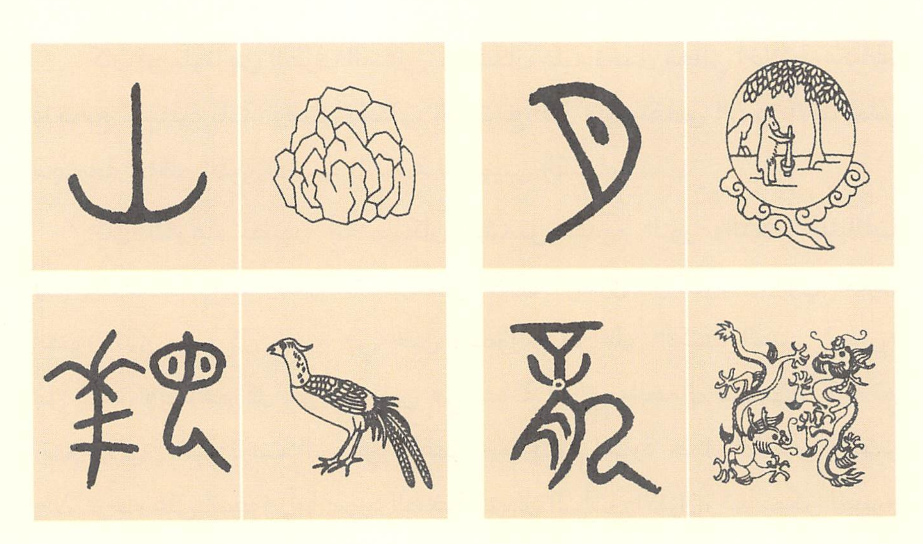
كان فو ملوناً من الطرف السفلي، والأشكال عليه تحمل معاني أخلاقية عميقة، وتخضع لسيطرة تامة، وتمثل طبقات المجتمع. في حين تغطي الرموز الاثنا عشر مجتمعة معظم القيم المهمة بالنسبة للصينيين القدماء. (الصورة 1-7)

كان القدماء يظنون أنه بإمكان الشمس تقديم النور والدفء للنباتات والحيوانات لتكبر، لذا رسموا الشمس على الكتف اليسرى من الثوب العلوي لتمثيل الضوء الذي ينير كل شيء، في حين رسموا القمر على الكتف اليمنى ليضيء من بعيد. ويساهم كل من الشكلين في إضافة التألق والجمال لبعضهما. كما تم رسم الدب الأكبر تحت الشمس والقمر؛ مما يقدم صورة حمل الشمس والقمر والاسترخاء على النجوم. أما صورة الصخرة فتمثل الثبات والاتزان، كما يمكن للغيوم والمطر أن تنشأ عن الصخرة التي يمكن أن تكون مصدر تكاثر جميع الكائنات الحية. لذا، إن صورة الصخرة ترمز أيضاً للمكانة الخارقة والسلطة العليا للإمبراطور.

والتنين حيوان أسطوري في الأساطير الصينية، وهو قوي وبارع في إحداث التغييرات، وقادر على التحكم بالرياح والمطر. وطوطم التنين من أهم الحلي في الصين القديمة، وقد ظل كذلك على مرّ آلاف السنين؛ من مجتمع العبودية إلى المجتمع الإقطاعي، إذ يرمز للقوة الإمبريالية. وبالتالي، يتم وضعه فوق ميان فو الذي يرتديه الإمبراطور. وتعكس الصور الملونة والمشرقة المكانة الثقافية العالية لمرتدي الثياب. (الصورة 1-8)

الصورة 1-7 تمثال الإمبراطور شي من سلالة مينغ من المجموعة القديمة لمعبد نان شون

اعتمر الإمبراطور شي من سلالة مينغ قبعة شاش سوداء زاويتاها مطويتان للأعلى، أما الثوب الإمبراطوري فله ياقة ملفوفة، وكمّان ضيقان مطرزان بصورة تنين. ويعتمر الإمبراطور هذه القبعة حين يرتدي اللباس المدني، وهي مصممة بطريقة مماثلة للقبعة التي يعتمرها المسؤول العادي، والفرق الوحيد هو أن الزوايا على كلا الجانبين وفي الخلف مطوية للأعلى. هذا الثوب الإمبراطوري يدعى يي شان غوان، وطُرّز عليه شكل تنين بخيوط حريرية صفراء وخطوط زاي وأشكال الزينة الاثني عشر.



الصورة 1-8 أشكال القمر والجبل والتنين وهوا شونغ

كان شكل القمر مرسوماً ليتلألأ بعيداً عن الشمس، وليضيف الشكلان التألق والجمال لبعضهما بعضاً. ويمثل شكل الصخرة الثبات والتوازن. وبما أن الغيوم والمطر نشأت من الصخر، فهذا الشكل يمثّل مصدر توالد كل شيء. وهكذا، إن الشكل يرمز إلى المكانة العليا والقوة الكبيرة للإمبراطور. أما طوطم التنين الذي يرمز إلى قوة الإمبراطور فيتم استخدامه دائماً على ميان فو الإمبراطور، ويمثّل هوا شونغ المكانة الثقافية العالية لمرتديه بفضل لونه المشرق.

الصورة 1-9 أشكال النار والأرز والطحالب وزونغي

تم استخدام شكل النار كاختبار مسبق للإشراق والازدهار، أما الأرز فيبدو على شكل بذرة بيضاء اللون ترمز للغذاء والنمو؛ مما يذكر الإمبراطور بإنفاق ثروته ورعاية شعبه. أما الطحالب فترمز للنقاء والأناقة والموهبة الأدبية. وكان الناس يطرزون شكل زونغي على الثوب السفلي، كما يطرزون شكل حيوان على كل جانب لتشكيل زوج؛ مما يشير إلى أن مرتدي الملابس ذكي وشجاع.

ومع تحسن الإنتاج والتقدم التدريجي للمجتمع الإنساني، أصبح الناس أكثر قدرة على الاستفادة من الطبيعة باختراع الكثير من الأدوات لإنتاج الطعام وللمهمات اليومية. وقد كانت النار والفو من بين الأشكال الاثني عشر للزينة؛ إذ ساهم استخدام النار في تغيير حياة البشر بشكل كبير، في حين كان الفو أداة للعمل، إلا أن ظهور كلا هذين التقدمين البشريين جسّد جوهر الحكمة الإنسانية؛ إذ كانت النار ترمز إلى الإشراق والازدهار، أما الفأس فتمثل الاختيار بين الخطأ والصواب، كما تذكر بضرورة أن يكون المرء صارماً.

ويرمز شكل الأرز إلى الحصاد الزراعي، أما الطحالب والأعشاب المائية وزونغي فترمز إلى الصيد، وكلها مرتبطة بالحياة البشرية. فقد منحتنا إياها



الطبيعة، ولكن البشر حوّلوها واستخدموها. وقد استخدم الناس هذه الأشكال لتزيين ملابسهم والتعبير عن رغبتهم بالغذاء الجيد والكساء المُدفئ. وبشكل أكثر دقة، إن الأرز الذي يبدو على شكل بذرة بيضاء اللون يرمز إلى الغذاء والنمو، ويذكّر الإمبراطور بإنفاق ثروته ورعاية شعبه. أما الطحالب فترمز إلى النقاء والأناقة والموهبة الأدبية، وكانت زونغي نوعاً من أنواع أوعية التضحية مغطى برسوم النمر ووي. وقد كان الناس يطرزون شكل زونغي على الثوب السفلي، حيث كانوا يطرزون شكل حيوان على كل جانب لتشكيل زوج؛ مما يشير إلى أن مرتدي الملابس ذكي وشجاع. (الصورة 1-9)

ويتطلب استخدام أشكال الزينة الاثني عشر دراسة دقيقة، ولا يمكن استخدامها كلها إلا في الميان فو الذي يرتديه الإمبراطور، في حين يستخدم الناس الأقل مرتبة من الإمبراطور أقل من ذلك؛ حسب مكانتهم. فعلى سبيل المثال، لا يستطيع الدوق سوى استخدام تسعة أشكال للزينة، في حين يستطيع الماركيز والكونت اللذان يتمتعان بلقب نبيل أقل من لقب الدوق استخدام سبعة وخمسة أشكال على التوالي.

الصور 1-10 جزء من خلفية ثوب الإمبراطور الأصفر المشرق مع أشكال الزينة الاثني عشر في وسط وأواخر عهد سلالة تشينغ

كل شكل من الأشكال المطرزة على ثوب الإمبراطور لديه مجموعة متنوعة وغنية من الإيحاءات الأخلاقية. وهناك أربعة تنانين على الصدر والظهر والكتفين، وأربعة تنانين متحركة على الحواشي السفلية للمقدمة والظهر؛ مما يعني أنه يمكن رؤية خمسة تنانين من الأمام والخلف، كما يرمز للسلطة العليا. وهناك أيضاً أشكال مباركة لغيوم ملونة وخفافيش وصور بركة لا محدودة وثروة كبيرة.

وتحمل أشكال الزينة الاثنا عشر مجموعة متنوعة من الدلالات؛ وفقاً لألوهية العالم والمخلوقات الطبيعية و«الإتيكيت» والتقاليد، كما ترمز إلى توقير الناس للطبيعة ورغبتهم بحياة أفضل. وكتجسيد ثقافي، إن الشكل الغني بالفن لا يعكس فقط اعتقاد أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة، وإنما يعكس أيضاً التناغم بين الإنسان والطبيعة. وقد ظهرت أشكال الزينة تلك على أواني الفخار البدائية، ولم تكن مستخدمة من قبل النخبة ولم تحمل أي مدلولات سياسية غنية، إلى أن ظهر المجتمع العبودي. ففي ذلك الحين، كانت تمثّل التجسيد المتمركز للسلطة العليا للحاكم، وفكرة جمع الكرامة والإنسانية، كما تمثل السلطة الحاكمة. (الصورة 1-10)



بوزي فو: إظهار الرتب الاجتماعية

الحديث عن الرجل حسن المظهر ذي المزاج الكريه في العصر الحديث قد يضع مثل هذا الرجل مقابل باقي المجتمع؛ لأنه من الشائع أن هذا الوصف لا ينطبق سوى على الشخص اللا أخلاقي والوقح، إلا أن القليلين فقط يعلمون أن هذا المصطلح الشائن كان في الأصل يرمز إلى الكرامة والأناقة. فذلك الشخص يتألق بروعة، وينال إعجاب ملايين الناس. ونظام الثوب والتاج كان أحد الأنظمة التي حكمت المجتمع الطبقي في الصين قديماً؛ حيث كانت هناك شروط صارمة على أسلوب زينة الملابس ولونها ومادتها وشكلها، وكذلك على القبعة التي يعتمرها الإمبراطور أو عامة الناس؛ لإظهار الرتبة الاجتماعية لمرتدي الثياب وتمييز المعقد عن البسيط. وهنا كان «الوحش» يشير إلى ما هو مطرز على الأثواب الرسمية في العصور القديمة. ففي البرامج التاريخية على التلفاز، يمكننا رؤية أنه كانت هناك دائماً قطعة مربعة من القماش على خلفية ثوب المسؤول الرسمي ومقدمته، وقد طُرّزت عليها أشكال من الطيور والوحوش بالخيوط الملونة والحرير الذهبي. وكانت قطعة الزينة الغريبة تلك تدعى بوزي، كما أن الثوب الرسمي مع بوزي كان يدعى بوزي فو أو بو فو (الصورة 1-11). وقد كانت لبوزي دلالة نمطية على النظام الطبقي في المجتمع الطبقي، وهو يؤدي دور «إظهار الرتب الاجتماعية المختلفة». فالرجل حسن المظهر ذو المزاج الكريه في ذلك الحين هو الشخص الذي يرتدي بوزي فو. وهو رجل يتمتع بسلطة رسمية، وبوزي فو مصطلح يستخدم لمدحه. وفي منتصف عهد سلالة مينغ وأواخر هذا العهد، وبسبب الفساد السائد في الدوائر الرسمية وإساءة معاملة الشعب من قبل الطبقة الحاكمة، كان المسؤولون يشبهون الوحوش في ملابس بشرية، فأصبحت عبارة «الرجل حسن المظهر ذو المزاج الكريه» مصطلحاً انتقاصياً بالكامل.

يقال إن البوزي الذي يرتديه المسؤولون ظهر خلال عهد الإمبراطورة وو زيتيان في سلالة تانغ، والتي كانت تظن أن الأثواب التي يرتديها المسؤولون بحضرتها عادة مملة، لذا أمرت بإعادة تصميم الأثواب الرسمية ليحمل البوزي صورة طائر



الصورة 1-11 رسم لمسؤول خلال عهد سلالة تشينغ لشو بي هونغ

إن ثوب البلاط الذي يرتديه المسؤولون في عهد سلالة تشينغ أزرق سماوي اللون، وتظهر رتبتهم الرسمية من خلال الأزرار وريش الطاووس على القبعات والبوزي المطرز على أثوابهم. كانت هناك قبعتان رسميتان: «القبعة الدافئة» التي يتم اعتمارها في الشتاء، و«قبعة الشمس» لفصل الصيف. وعلى المسؤولين وضع القلادات حين يكونون في البلاط، وإحدى القلادات مصنوعة من 108 خرزات، مع ثلاثة خيوط وضعت فيها خرزات أصغر حجماً، كما يوجد خيط واحد متدلٍ من الخلف ويدعى «الغيمة الظهرية». وكما هي الحال مع البوزي يمكن لخرز البلاط أن يظهر رتبة المسؤول.



على ثوب المسؤول المدني، وصورة وحش على ثوب المسؤول العسكري. وقد تم تطريز جميع أثواب المسؤولين بشكل غريب وأنيق، إلا أن بعض الناس لا يزالون يظنون أن البوزي قد نشأ خلال حكم سلالة يوان؛ إذ تم العثور على ملابس مع بوزي في قبر يعتقد أنه يعود إلى زمن حكم سلالة يوان؛ لأن الأشكال المربعة التي تزين الظهر والمقدمة تبدو مشابهة للبوزي، لكن الأشكال محصورة بالأزهار ولا تعكس الطبقات الاجتماعية المختلفة.

وتبقى هذه النظرية مجرد تكهنات، لكننا نظن أن الثوب الرسمي الأصلي مع بوزي ظهر خلال عهد سلالة مينغ. ففي قانون مينغ لعام 1391 (في السنة الرابعة والعشرين من حكم هونغ وو) هناك تفاصيل لأحكام تم وضعها حول بوزي على الأثواب الرسمية، وتشمل التفاصيل مجموعة متنوعة من الأشكال عن الرتب الرسمية من الأولى وحتى التاسعة.

إذ يشير شكل طائر الكركي ذي العرف الأحمر إلى المسؤول المدني من الدرجة الأولى؛ لأن الكركي يعتبر حيواناً أنيقاً ذا مكانة أخلاقية عالية، وقد تم وصفه في المصطلح «يبدو ككركي في سرب من الديكة». وبالإضافة إلى ذلك، إن شكل طائر العنقاء يفوق جميع الأشكال المباركة ويمثل الملكة، يليه الكركي المستخدم لتمثيل مسؤول من الدرجة الأولى، في حين يستخدم المسؤول المدني من الدرجة الثانية شكل طائر ذهبي يدعى هوا شونغ، كما أنه شكل من الزينة على ميان فو الذي يرتديه الإمبراطور؛ مما يمنح الإمبراطور أو المسؤول الفخامة، ويمكنه من جمع الحشود بلمح البرق. والأكثر من ذلك وفقاً للتقاليد، باستطاعة الطائر أن يذبح الشيطان ويقضي على الشر، وبالتالي فهو مستخدم في الأشكال التي تشير إلى المسؤولين المدنيين من الدرجة الثانية. وشكل الطاووس مطرز على أثواب المسؤولين من الدرجة الثالثة؛ لأن القدماء كانوا يظنون أنه إلى جانب جمال الطاووس وأناقته فهو يتمتع بالفضيلة، مما يجعله طائراً مباركاً يمثل الغنى والمكانة الاجتماعية والحضارة. ويستخدم المسؤولون المدنيون من الدرجة الرابعة شكل الإوز البري الذي يصطف على شكل يي أو رين حين يحلق عالياً، مما يعني أن

الطائر قد يرمز إلى آداب التعامل والترتيب. ويتم تطريز شكل الطائر الفضي على أثواب المسؤولين المدنيين من الدرجة الخامسة؛ إذ هناك اعتقاد شائع منذ العصور القديمة، وهو أن الطائر الفضي طائر مبارك. فحين يفرد جناحيه ويطير يصبح قادراً على تبديد الكوارث وإبعاد الشر وجلب الحظ الطيب وحماية الحصاد، أما حين يشرب الماء فهو يجعل الحياة حلوة ومنعشة. ويستخدم المسؤولون المدنيون من الدرجة السادسة شكل طائر البلشون الأبيض والمبارك؛ مما يعطي انطباعاً برفض التلوث بالتأثيرات الشريرة، في حين يستخدم المسؤولون المدنيون من الدرجة السابعة شكل بطات المندرين التي تمثل الولاء والسعادة والتناغم بالنسبة للقدماء. أما المسؤولون المدنيون من الدرجة الثامنة فسيستخدمون شكل طائر السمان الذي يتم لفظ النصف الأول من اسمه باللغة الصينية «آن»، ويمثّل السلامة والعيش برضى وازدهار. ويتم تطريز شكل صائد الذباب على أثواب المسؤولين المدنيين من الدرجة التاسعة، حيث يبدو الريش الطويل لصائد الذباب كشريط؛ مما يخدم كنوع من حمالة الكتف على الأثواب الاحتفالية للإمبراطور وجميع المسؤولين. وهو يمثل السلطة والغنى، كما يعتقد الناس أن ذلك الطائر مبارك وجالب للأخبار الجيدة.



الصورة 1-12 وانغ وين شيونغ مسؤول عسكري خلال عهد الإمبراطور شيان لونغ من سلالة تشينغ. كان وانغ ضابطاً مساعداً في تون غزو

مهمة قادها اللورد جورج ماكارتني عام 1793 برفقة وانغ وين شيونغ وشياو رينجي، وقد رسم هذه اللوحة و. ألكسندر، وهو رسام رافقهم في الرحلة. وقد أظهر البوزي على مقدمة ثوب وانغ هويته ورتبته كمسؤول عسكري.

وقد كان المسؤولون العسكريون شجعاناً وأقوياء وصلبين ويبدون مهيبين، وبالتالي تم استخدام أشكال وحوش شجاعة يتم استخدامها في المعارك في بوزي، فقد كان شكل كيلين



«kylin» مخصصاً للمسؤولين العسكريين من الدرجة الأولى، وشكل الأسد للدرجة الثانية، والفهد للدرجة الثالثة، والنمر للرابعة، والدب للخامسة، والنمر الصغير للسادسة، ووحيد القرن للسابعة والثامنة، وفرس النهر للتاسعة. (الصورة 1-12)

وإلى جانب أشكال الطيور والوحوش على البوزي هناك أيضاً أشكال مياه البحر والصخور التي ترمز للحكومة التي يديرها الإمبراطور الثابت كصخرة والدائم كمياه البحر المتدفقة.

وقد تطور البوزي مع الأجيال اللاحقة لسلالة تشينغ. ففي البداية وخلال حكم سلالة مينغ، كان الثوب الرسمي طويلاً ومفتوحاً من الجانب مع بوزي على شكل قطعة قماش مطرزة بالكامل. أما خلال عهد سلالة تشينغ أصبح الثوب الرسمي قصيراً ومفتوحاً من الوسط، والبوزي مُخاطاً به. ولهذا، إن البوزي من المقدمة مقسوم إلى نصفين. وقد كان بوزي مينغ مربعاً، ويبلغ طول ضلعه 40 سنتيمتراً، وبدون أي حواشٍ مفرغة، وألوانه واضحة كالأحمر المطرز بخيوط ذهبية، ويبدو بسيطاً وأنيقاً. في حين أن بوزي تشينغ مربع، ويبلغ طول ضلعه 30 سنتيمتراً، وله حواشٍ مفرغة، وألوانه داكنة نوعاً ما كالبترولي والأسود والأحمر القاتم. وقد كانت الألوان قاتمة لكن تأثيرها جميل ومبهر. كما أن بوزي مينغ الخاص بالمسؤولين المدنيين عليه طائران يطيران بجانب بعضهما ويغردان معاً، في حين لا يوجد سوى طائر واحد على بوزي تشينغ للمسؤولين المدنيين. (الصورة 1-13) (الصورة 1-14)

وقد تغير البوزي كدلالة على الرتب الاجتماعية المختلفة، وفقاً للمنصب الرسمي لمرتديه. وكما هي الحال مع الرتب العسكرية الآن، ينبغي عدم تغيير البوزي بشكل عشوائي، فهناك دائماً أحكام مفصلة ومحددة لكل سلالة وينبغي على جميع المسؤولين الالتزام بها وإلا فستتم إدانتهم. يقال إنه خلال عهد تشيان

الصورة 1-14 بوزي يرتديه المسؤولون المدنيون في عهد سلالة تشينغ

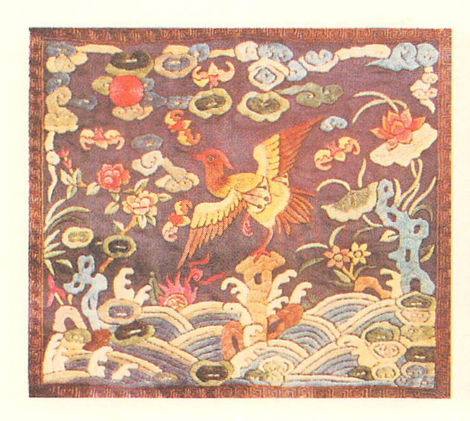
تم تطريز أشكال الطيور على البوزي الذي يرتديه المسؤولون المدنيون في عهد سلالة تشينغ لإظهار تحضرهم. وقد كانت الرتبة الأولى تضع شكل طائر كركي ذي عرف أحمر، أما الرتبة الثانية فتضع شكل طائر ذهبي، والرتبة الثالثة تضع شكل طاووس، والرابعة شكل إوزة برية، والخامسة شكل طائر فضي، والسادسة شكل بلشون أبيض، والسابعة شكل بطات صينية، والثامنة شكل طائر السمان، والتاسعة شكل صائد الذباب.







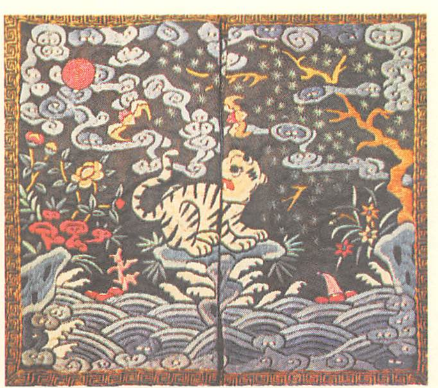




















لونغ (1711-1799) كان هناك مسؤول مدني من الدرجة الثانية، وهو في الوقت نفسه مسؤول عسكري من الدرجة الثانية. وبما أن المنصبين كانا من الدرجة نفسها، أراد القيام بتغييرات لبوزي على ثوبه كمسؤول عسكري، فأضاف طائراً صغيراً إلى ذيل الأسد. وحين تم استدعاؤه إلى البلاط، غضب الإمبراطور تشيان لونغ حين وجد أن هناك حيوانين مباركين على بوزي الرجل، وأقيل الرجل من منصبه فوراً، وتمّت محاكمته؛ إذ كان النظام الصيني القديم صارماً للغاية.

الصورة 1-14 بوزي يرتديه المسؤولون العسكريون في عهد سلالة تشينغ

تم تطريز أشكال الحيوانات على البوزي الذي يرتديه المسؤولون العسكريون في عهد سلالة تشينغ لإظهار قوتهم. وقد كان شكل الغزال الخرافي مخصصاً للمسؤولين العسكريين من الرتبة الأولى، والأسد للرتبة الثانية، والفهد للثالثة، والنمر للرابعة، والدب للخامسة، والنمر الصغير للسادسة، ووحيد القرن للسابعة والثامنة، وفرس النهر للتاسعة.



| سترة الفروسية الصفراء

تم عقد المؤتمر التاسع للتعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ في شنغهاي عام 2001. ووفقاً للتقاليد، كان على الحاضرين ارتداء الزي الذي تتميز به الدولة المضيفة. فعلى سبيل المثال، حين كان المؤتمر منعقداً في فيتنام تم ارتداء ثوب طويل يدعى أو داي؛ وهو الزي الوطني، بينما ارتدى الحضور في أستراليا سترة فروسية تقليدية. وفي شنغهاي، ارتدى رؤساء الدول التسعة عشر بذلة تانغ الصينية؛ وهي نسخة عصرية ومعدلة لسترة الفروسية التي ترجع إلى عهد سلالة تشينغ وتجمع بين العوامل التقليدية والعصرية، كما أنها مصنوعة وفقاً للطريقة الغربية لجعلها مناسبة أكثر للجسم البشري، ولتلبي الأذواق الجمالية للناس في العصر الحديث. وفي الوقت ذاته، استخدمت المواد التي ترجع إلى الثقافة التقليدية وطرازها. وفي الحقيقة، حظيت بذلة تانغ بترحيب كبير من العامة.

وقد كان الثوب الطويل وسترة الفروسية في الأصل من الملابس المتميزة والخاصة بقومية مانشو. وكانت السترة قصيرة، ولا تصل إلا إلى الخصر، في حين يصل الكمّان إلى المرفقين فيبدوان كالأساور الشائعة هذه الأيام. ويمكن للسترة المصممة للفروسية أن تجعل مرتديها يبدو أقل هيبة، ولكنه يبقى قوياً ومتمكناً. في البداية، كان رجال مانشو هم فقط



الصورة 1-15 أب وابنه عام 1920

على الرغم من أن ثورة 1911 كانت قد حصلت في وقت التقاط هذه الصورة، إلا أن الأب لا يزال يرتدي رداء طويلاً فاتح اللون وسترة فروسية ذات أزرار من المقدمة، في حين أن ابنه لديه ضفيرة شعر منتصبة، ويرتدي نسخة مصغرة عن السترة التي يرتديها أبوه. وحتى في بدايات القرن العشرين، ظل الزي التقليدي كالرداء الطويل وسترة الفروسية شائعين بين الشعب الصيني

من يرتدون سترة الفروسية، ولكن في ما بعد، وخلال عهد الإمبراطور كانغشي والإمبراطور يونغ زينغ أدى التوحد بين القوميات المختلفة إلى وجود الكثير من المسؤولين، كما قامت الشخصيات البارزة من قومية هان بارتداء ذلك الزي. وتدريجياً، أصبحت سترة مانشو للفروسية لباساً أنيقاً انتشر بين عامة الشعب، وطراز لباس أساسياً للرجال خلال عهد سلالة تشينغ. (الصورة 1-15)

وقد كانت هناك ثلاثة تصاميم أساسية لسترة الفروسية حازت على الشعبية خلال عهد سلالة تشينغ: السترة ذات الأزرار من الأمام، والسترة ذات الأزرار من الأمام في الجهة اليمنى، والسترة التي تبدو مقدمتها كآلة العود الموسيقية. وفي الطراز الأول، تنفتح السترة من الوسط، ويكون الطرفان متناظرين؛ مما يجعل مرتديها يبدو مستقيماً وجليلاً. وهذا الزي يُستخدم عادة كثوب احتفالي رسمي، أما الطراز الثاني لسترة الفروسية فينفتح من اليمين، ويتم استخدام قطعة قماش بلون مختلف عن لون السترة كزينة حول أطراف الثوب، مما يجعل الزي مناسباً لارتدائه بشكل اعتيادي، في حين أن القطعة اليمنى من المقدمة في الطراز الثالث غير مكتملة، وتبدو كآلة العود الموسيقية، ويتم ارتداؤها عادة حين يخرج الشخص من بيته. (الصورة 1-16) (الصورة 1-17)



الصورة 1-16 مجموعة من الأولاد يقفون أمام بوابة مكتب جذب الاستثمارات في البواخر، وتشمل المجموعة 30 مراهقاً تتراوح أعمارهم بين 14 و20، وقد أرسلتهم حكومة تشينغ إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة تحصيلهم العلمي

أرسلت حكومة تشينغ المجموعة الأولى المؤلفة من 30 طفلاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة عام 1872، كما تم إرسال مجموعات أخرى كل عام؛ حيث بلغ المجموع الكلي للأولاد الذين تم إرسالهم إلى أمريكا 120 ولداً، وجميعهم يرتدون رداء طويلاً وسترة فروسية ولديهم ضفيرة.



الصورة 1-17 ثوب نسائي ذو ياقة مربعة ومطرز بأشكال التنانين الذهبية والأطفال والأزهار

لهذا الثوب ياقة مربعة، وهو مفتوح من الأمام وفيه خمسة أزرار مذهبة. وقد تم تطريز تسعة تنانين بالخيوط الذهبية من الأمام والخلف، كما تم تطريز صور الأطفال على كامل القماش، بالإضافة إلى صور سبائك الذهب والفضة والخرز وقرون وحيد القرن والمرجان وروي «ruyi» ومناظر من الفصول الأربعة تظهر أزهار الدراق والورد الصيني واللوتس والنيلوفر والأقحوان وبراعم الخوخ وغيرها.





وبالإضافة إلى ذلك، إن لون سترة الفروسية يتغير كثيراً، وهناك ألوان متميزة، حيث إن الألوان المفضلة للطبقة الأرستقراطية تتغير بين فترة تاريخية وأخرى. ففي البداية، كان اللون المفضل هو الأزرق الفاتح السماوي، والذي تغيّر لاحقاً إلى البنفسجي والوردي خلال عهد الإمبراطور تشيان لونغ، وبعدها ظهر اللون الأحمر الداكن، ثم الرمادي الفاتح، ثم البني. كما ظهرت تغييرات في الأطراف المخرمة حول الياقة والكمين، حيث شاعت الحواشي العريضة أحياناً، وفي أحيان أخرى انتشرت الحواشي الضيقة، وقرب نهاية عهد سلالة تشينغ ظهرت سترة الفروسية بدون أي حواشٍ. (الصورة 1-19)

وقد كان طراز سترة الفروسية الصفراء مشابهاً لطراز سترات الفروسية الأخرى، ولكنها تتميز عنها بلونها الأصفر الذي لا يُسمَح بارتدائه إلا لعائلة الإمبراطور. فمنذ العصور القديمة، كان اللون الأصفر هو اللون الخاص الذي يرمز إلى العظمة وفقاً لمفهوم «احترام الأرض». ووفقاً لنظرية اليين واليانغ، إن لون الأرض أصفر. ووفقاً لنظرية ووش يانغ، إن الأرض تفوق العناصر الخمسة التي ترمز إلى مركز الكون. وإلى جانب ذلك، إن سلالة شعب هان ينبغي أن تكون في مركز الكون لتبقى الأقليات على الأطراف، وبالتالي تم ربط اللون الأصفر بالشرعية والاحترام من خلال الأرض التي بررت حكم الإمبراطور. كما شاع في العصور القديمة أن التنين قاتل في البراري، ونزف دماً أصفر قاتماً. وبما أن الإمبراطور كان يدعي أنه من سلالة التنين فاللون الأصفر مقدس، وينبغي أن يبقى اللون الخاص بالطبقة الحاكمة. وقد كان هناك طيف كامل من تدرجات اللون الأصفر؛ بدءاً من الفاتح ووصولاً إلى الداكن. كما توجد قوانين محددة وفقاً لذلك؛ فالأصفر المشرق هو الأكثر وقاراً ولا يستطيع ارتداؤه سوى الإمبراطور، يليه الأصفر الذهبي الذي يرتديه النبلاء، وبعده يأتي اللون الأصفر المشمشي (أو اللون الأصفر المحمر).

ولم يكن الإمبراطور في عهد سلالة تشينغ يرتدي سترة فروسية صفراء، غير أنه كان يهديها للأشخاص الذين يحققون إنجازات. وإن تلقي سترة فروسية صفراء كهدية أمر يدعو للفخر؛ إذ إن ثلاثة أنواع من الناس فقط مؤهلين للحصول على



الصورة 1-18 رجلان من تشينغ دو سي شوان خلال السنوات الأولى لجمهورية الصين. التقط الصورة لوثر نايت 1879-1913

كان كل من الرجلين يعتمر قبعة صيد، ويرتدي قميصاً حريرياً طويلاً، بالإضافة إلى سترة فروسية من الفرو، كما وضع الرجل الظاهر إلى اليمين نظارة.

الشرف العظيم؛ بمنحهم سترة الفروسية الصفراء في عهد سلالة تشينغ. النوع الأول هو المسؤول البارز الذي تحمل مسؤوليات جسيمة وحراس الإمبراطور الملازمون له؛ إذ يتوجب عليهم ارتداء سترة فروسية صفراء حين يخرج الإمبراطور. أما النوع الثاني فهو المحارب الذي يصطاد أكبر عدد من الطرائد في الوقت الذي يصطاد فيه الإمبراطور؛ إذ لا يستطيع المحارب ارتداء السترة المهداة له إلا حين يكون الإمبراطور يصطاد فعلياً. والنوع الأخير هو المسؤول الذي حقق إنجازاً عظيماً في شؤون الدولة أو في ميدان المعركة؛ إذ يمكنه ارتداء سترة الفروسية الصفراء في أية مناسبة عظيمة ليظهر الكرم الملكي اللامتناهي. (الصورة 1-20)

يقال إن أشهر سترة فروسية صفراء في عهد سلالة تشينغ هي السترة التي ارتداها لي هونغ زانغ المفوض الإمبراطوري. ففي عام 1895، توجّه لي إلى اليابان



للمشاركة في المحادثات حول معاهدة شيمونوسكي، وفي طريق عودته إلى الفندق هاجمه قتلة يابانيون وأطلقوا النار على وجهه، فتدفق الدم من جرحه على سترة الفروسية الصفراء. وقبل وفاته ببرهة، طلب لي من مرافقيه أن يعتنوا بسترة الفروسية الصفراء الملطخة بالدماء، وألا ينظفوا بقع الدم، ثم تنهد قائلاً: «قد تكون دليلاً على إخلاصي في خدمة بلادي». وقد كان يشعر بالفخر بسترة الفروسية الصفراء الملطخة بالدم لأنها بالنسبة له ترمز إلى الولاء المطلق للإمبراطور والبلاد.

الصورة 1-20 المدير والجندي البريطاني الرائد شارلز جورج غوردون (1833-1885) يرتدي سترة فروسية صفراء

قام غوردون مرة بقيادة جيشه دائم الانتصارات ومهاجمة الجيش المسالم، وبالتالي منحه الإمبراطور الصيني سترة فروسية صفراء. وبعد ذلك الشرف، أصبح غوردون معروفاً باسم غوردون الصيني.





الملبوسات
والإكسسوارات الصينية

الفصل الثاني

الملابس الفخمة والإكسسوارات الجميلة:
المثل العليا للبشرية

الرجل الحكيم وسيم كبريق حجر الجاد الكريم

كتب جين يونغ الروائي الشهير للفنون العسكرية من هونغ كونغ سطراً في بداية أول رواية له «الكتاب والسيف» عن الإمبراطور من سلالة تشينغ تشيان لونغ، وتشين جيالو رئيس جمعية الوردة الحمراء؛ حيث التقيا وأصبحا صديقين على الفور. وقد منح الإمبراطور الرئيس قلادة من حجر الجاد الكريم كدلالة على صداقتهما، وحفر عليها العبارة التالية: «الحكمة العظيمة ستتأذى، والعواطف الجياشة ستضعف، والشخصية القوية ستتعرض للإهانة، لكن الرجل الحكيم سيبقى وسيماً كبريق حجر الجاد الكريم». وقد عكست هذه الكلمات الصينية شخصية تشين جيالو كما عبرت عن التفكير المتعالي لجين يونغ. (الصورة 2-1)

بخلاف الغربيين، إن الشعوب الشرقية تركز دائماً على الجمال والأناقة والكياسة. فبالإضافة إلى جمال حجر الجاد الطبيعي، يظهر تألقه ببطء من الداخل حيث هو صلب وقوي إلى الخارج حيث يكون دافئاً ومتحفظاً. والرجل النبيل يجب عليه أن يتحلى بصفات حجر الجاد؛ أي الاعتدال والتماسك والعقلانية. وعلى مر العصور، لم يكن هناك شيء يفضله الصينيون كما يفضلون حجر الجاد.

(الصورة 2-2) (الصورة 2-3)



الصورة 2-1 قلادة مع أشكال شيوين في الغيوم من عهد سلالة تشينغ. يبلغ طولها 7.7 سم وعرضها 4.6 سم، وقد تم العثور عليها في ضريح عائلة هي شي لي بالقرب من سوجي فين في منطقة هاي ديان في بكين، وهي محفوظة حالياً في متحف العاصمة

كان شكل حجر الجاد هذا مطرزاً على الأثواب مع أشكال شيوين وبطتين صينيتين تمرحان في الماء على أحد طرفي التطريز وطائر عنقاء يرتاح بين الغيوم على الطرف الآخر.



الصورة 2-2 قلادة على شكل سمكة

هذه القطعة مصنوعة من الجاد الأبيض، ومنحوتة على شكل سمكة، لكن خطوطها البسيطة تمنحها قوة تعبيرية قوية؛ فشكلها مأخوذ من عهد سلالة هان. هيكل السمكة عريض نسبياً، وحجم الرأس مبالغ به، كما أن الفم ذا الشفتين العريضتين مفتوح قليلاً، وهناك ثقب مستدير في الرأس ليتم تمرير الشريط عبره.



الصورة 2-3 قلادة على شكل تنين بلا قرون من عهد سلالة هان

تُظهِر هذه القلادة المزخرفة تنيناً يرتفع مع غشاوة على عينيه، وجسده ملتف، وذيله طويل وممدود، وساقاه ممددتان؛ مما يجعله يبدو وكأنه على وشك الطيران. وفي أعلى قطعة الجاد هذه هناك أشكال غيوم وثقب ليصبح بالإمكان وضعها، كما أنها ملساء وبيضاء ومصنوعة بشكل غريب.

وبسبب صعوبات الحصول على الجاد وصعوبة تصنيعه، تم اعتباره كنزاً نادراً ومرتبطاً بمعانٍ عميقة. إذ يرمز «البريق اللطيف» للجاد إلى البشرية التي تم التكلم عنها في الكونفوشيوسية، وترمز بنيته الصلبة والكثيفة والمهيبة إلى الحكمة، كما أن فكرة أن قطعة الجاد لا تخفي جمالها الطبيعي ولا يمكن إخفاؤها ترمز للولاء. وبعد نحتها وتلميعها يتم التحلي بها وترمز إلى اللباقة... كما قيل إن الجاد يمكنه أن يدفئ ويغذي الناس بهالته. وبالتالي، كان الصينيون مولعين بالتزين بالجاد منذ عهد سلالة شانغ القديمة. وفي عهد سلالة زو شاعت تعاليم آداب التعامل وأصبحت صناعة الجاد غنية بمجموعة متنوعة من الإيحاءات الأخلاقية الإيجابية، وبقيت مرتبطة باللباقة، ومن بين إيحاءات «الإنسانية والصلاح واللباقة والحكمة والإيمان» التي روجت لها المدرسة الكونفوشيوسية كانت الإنسانية هي الأكثر أهمية، كما تم تثمين الشخص «الإنساني» الذي يحب الآخرين واعتباره رجلاً راقياً. وبما أن الفضيلة هي جوهر الإنسانية، شرح كونفوشيوس بالتفصيل 11 فضيلة للجاد. ومنذ ذلك الحين، أصبح الجاد مرتبطاً بالشخصية الأخلاقية والسلوك المحافظ، وأصبح من الممكن مقارنة سعي الرجل الراقي وراء المثل الأخلاقية العليا بالجمال المقدس والنقاء الصلب للجاد، وترويض الشخصية النبيلة بالصقل الخفيف لقطعة الجاد الجميلة، وهذا سبب ظهور عبارات مثل «الرجل الراقي سيصف الفضيلة باستخدام حجر الجاد» و«الرجل الراقي لن يترك حجر الجاد بدون سبب منطقي». (الصورة 2-4) (الصورة 2-5)

كان الناس قديماً يصقلون قطع الجاد، ويصنعون منها حلياً بأشكال مختلفة كثيرة، ويربطونها بشريط حريري ملون ويتزينون بها. ووفقاً للقوانين الصارمة لآداب التعامل، يجب على الناس الذين ينتمون لطبقات اجتماعية مختلفة التزين بقطع مختلفة من الجاد. كما تم وضع قوانين في ما يتعلق ببنية قطعة الجاد ولونها وأوقات استعمالها، وعلى الجميع التقيد بالقوانين. على سبيل المثال، «يرتدي الإمبراطور الجاد الأبيض، واللورد الجاد الأسود، والمسؤولون رفيعو المستوى الجاد الأخضر، وولي العهد الزفير، والمسؤولون الصغار الحجارة الشبيهة بالجاد» وإلا





الصورة 2-4 قلادة على شكل طائر العنقاء من عهد سلالة شانغ، وهي محفوظة الآن في متحف العاصمة

قطعة الجاد هذه بيضاء للغاية، ولا توجد فيها سوى بعض البقع المصفرة بسبب التآكل. يبلغ طولها 13.2 سم وعرضها 7.4 سم، وهي منحوتة على شكل طائر عنقاء ذي ذيل طويل يدير رأسه للخلف. هناك نتوء على الحافة، وأربعة ثقوب صغيرة على أحد الجانبين.

فسيتم اتهامهم بارتكاب جريمة، لينتج عن ذلك عقاب شديد. (الصورة 2-6)

ولا يعكس حجر الجاد الذي يتزين به الرجل الراقي طبقته الاجتماعية فحسب، وإنما يلبي الحاجات الجمالية لدى الناس. وبسبب لونه الناعم وبريقه المعتدل وبنيته الكريستالية احتفظ الجاد بجماله، وباستعمال شريط باستطاعة قطعة الجاد توليد طيف من الألوان فائقة الجمال. كما أنه حين يتزين الناس بالجاد وهم يمشون يصدر اصطدام الحجارة ببعضها صوتاً عذباً وبهيجاً. وفي العصور القديمة، كان على الرجل الراقي أن يكون واثقاً بنفسه بما فيه الكفاية ليمشي بطريقة تضمن إصدار حجارة الجاد التي يتزين بها نغماً جميلاً. ولتحقيق ذلك، كان عليه الانحناء للأمام قليلاً، وثني يديه أمامه، وحين يلتفت يتوجب عليه الالتفات بشكل دائري،



الصورة 2-5 قلادة على شكل ورقة نيلوفر تشبه عش سلحفاة خضراء من عهد سلالة جين

يبلغ طول هذه القلادة 10 سم وعرضها 7 سم وسماكتها 1.3 سم، وهي مصنوعة من قطعة جاد ناعمة ومقسومة في الوسط، وقد تم حفر ورقة النيلوفر بشكل أبرز عروقها صغيرة، وفي منتصف ورقة النيلوفر هناك سلحفتان صغيرتان تزحفان في اتجاهين متعاكسين، وهناك أشكال سداسية محفورة بخطوط مزدوجة، وعلى الجانب السفلي للورقة هناك خطوط بسيطة. شكل الزينة في هذه القطعة يدعى «السلحفاة المسترخية» ويعتبر مباركاً. وقد تم تصميم قلادة الجاد هذه بشكل جميل، ونُفِّذت بعناية، وصُقلت باهتمام. ووفقاً للنقوش الظاهرة على لوح الضريح في ضريح جين، كان مالِك الضريح هو ووغولون وولون الذي تم دفنه حوالي العام 1184 أي قبل أكثر من 900 سنة.



الصورة 2-6 قلادة على شكل صائد ذباب يمسك زهرة بمنقاره من عهد سلالة جين، تم العثور عليها في ضريح ووغولون وولون في قرية وانغ زو في منطقة فينغ تاي في بكين، وهي محفوظة حالياً في متحف العاصمة

يبلغ محيطها 6 سم وسماكتها 0.5 سم، وتتميز بأزهارها ذات البتلات الخمس، وبراعمها وأوراقها المنحوتة بطريقة فنية. وتتميز قلادة الجاد هذه بوضوح نقوشها وبروزها، كما أن طرفها الخلفي مقطوع ومصقول، وقد تم نحتها بأناقة مما جعلها قمة في الإبداع.



وحين ينعطف عليه المشي بخطوط مستقيمة كما لو أنه يشكل مربعاً، وتساعد كل تلك التصرفات في صدور نغم واضح من الجاد. كما عليه تعديل خطواته، وتسريع مشيته ليظهر الاحترام لآداب التعامل. واستعمال الجاد بإمكانه تنقية الروح وتعديل المزاج لتفادي النوايا الشريرة، وقد تم ذكر «المشي مع إصدار صوت الجاد» على لسان القدماء بانبهار كبير. (الصورة 2-7) (الصورة 2-8)

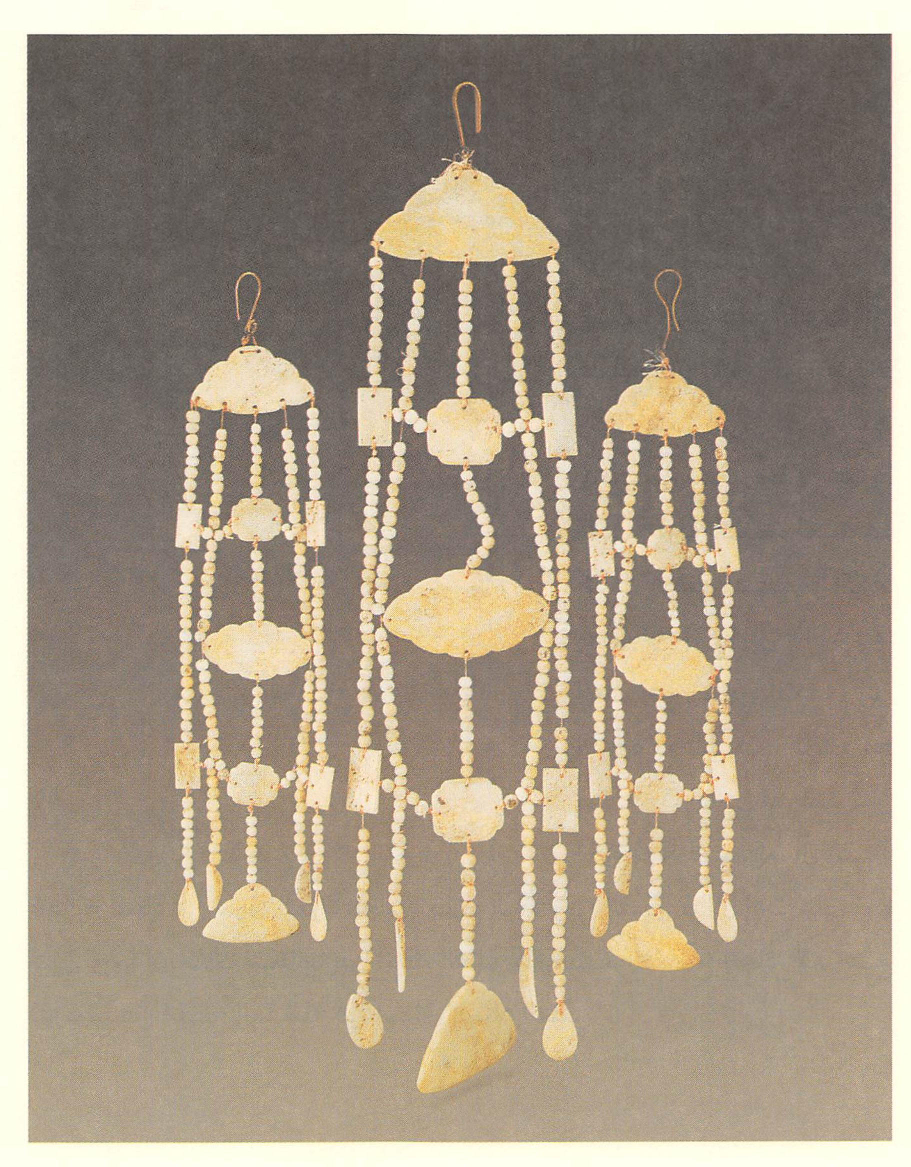
بالاعتماد على الآثار المكتشفة والسجلات الأخرى، كانت الصين أول دولة تصنع تحفاً من الجاد، وقد تم اكتشاف أول حجر من الجاد الملون قبل حوالي 7000 سنة في منطقة هيمودو بالقرب من يو ياو في مقاطعة زي جيانغ. ومنذ ذلك الحين، لم يتوقف استخدام الجاد في الصين قط. أما في اليابان - البلد المتأثر بشدة بالثقافة الصينية منذ العصور القديمة - فقد كان هناك أناس مولعون بارتداء «إكسسوارات» الجاد، لكن بما أن معظم الأراضي اليابانية غنية بالفضة فإن الثقافة المتعلقة بالمعادن الثمينة طغت على استخدام الجاد.

لأن ثقافة الجاد ازدهرت عبر تاريخ الصين، فقد ساعدت في تسجيل التغيرات في الحياة البشرية وتحولات المجتمع. والمجموعة المتنوعة والغنية للقصص الممتعة عن الجاد غير مألوفة. فعلى الرغم من أن الشعب الصيني المعاصر نادراً ما يتزين «بإكسسوارات» من الجاد، إلا أنه



الصورة 2-7 قلادة على شكل راقصة من عهد سلالة هان، وهي قلادة من ثنائي على شكل راقصين متماثلين يؤديان حركاتهما باتجاهات متعاكسة

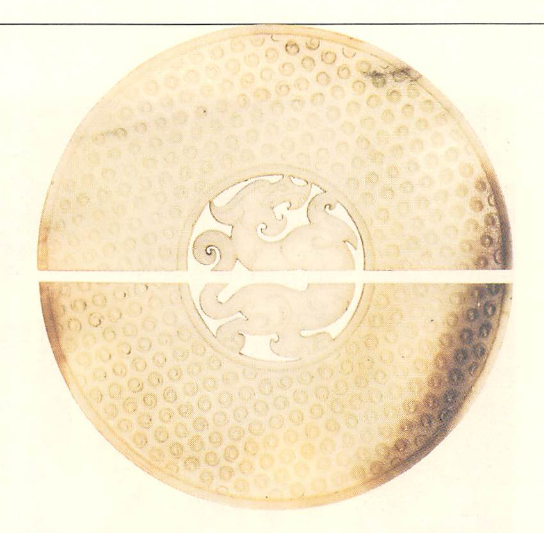
تبدو الراقصة مرتدية ثوباً طويلاً ذا كمين عريضين وياقة معكوسة، وواضعة حزاماً على خصرها، ويبدو ثوبها طويلاً على شكل أنبوب، ووجهها مستديراً، وحاجباها محفوفين. عيناها الصغيرتان منحنتاها ابتسامة جميلة، وقد لفت إحدى ذراعيها حول رأسها، وأنزلت اليد الأخرى المثنية إلى جانبها مما جعل جسدها يبدو جذاباً.



الصورة 2-8 قلادة الجاد هذه فيها شكل تنين بين الغيوم وخطوط ذهبية، ترجع إلى زمن وانلي في عهد سلالة مينغ، وقد تم العثور عليها عام 1957 في ضريح دينغ الإمبراطوري؛ وهو أحد أضرحة سلالة مينغ في بكين، وهي محفوظة حالياً في متحف العاصمة

هذه القطعة مصنوعة من الجاد عالي الجودة، وفيها قطع متنوعة من الجاد وبأشكال مختلفة؛ شكل أحجار وأزهار وزينة شبه دائرية وحبات، وهي موصولة ببعضها باستعمال خيط حريري يبلغ طوله 50.5 سم، وفيه شكل تنين بين الغيوم محفور وعليه خطوط ذهبية في مقدمة كل نصل وحجر جاد.

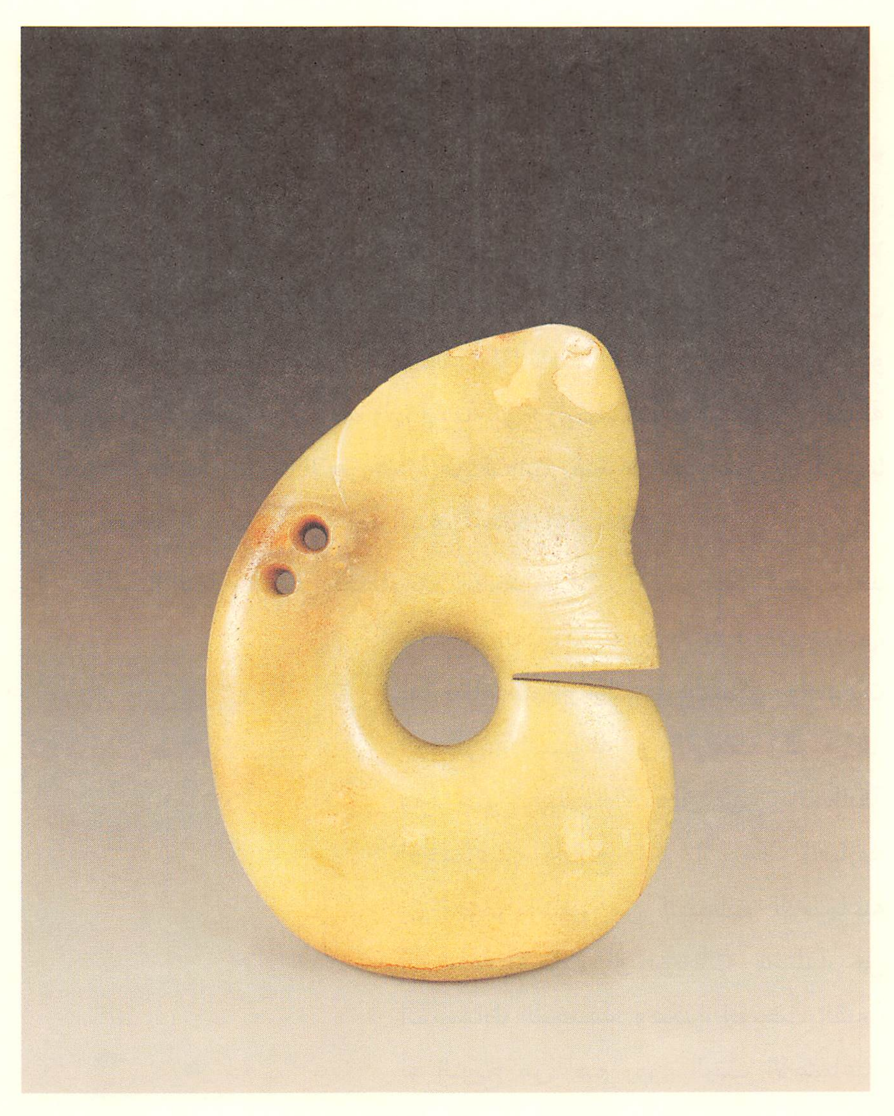




الصورة 2-9 قطعتا جاد تكمل إحداهما الأخرى بانسجام، فيبدو شكل تنين من عصر دول وارينغ، وهما محفوظتان حالياً في متحف القصر

يبلغ قطر قطعتي الجاد المجموعتين معاً 7.6 سم، أما السماكة فتبلغ 0.4 سم. هذه التحفة زرقاء اللون، وهناك علامات بنية على بعض أجزائها، كما أنها مفلطحة الشكل، ومحفور عليها من كلا الجانبين، وقد تم حفر عوالم على الدائرة الخلفية وتنين يكشر عن أسنانه بين الزخارف على الدائرة الداخلية. ولدى التنين قرن على رأسه، كما أن ذيله ملتوٍ. وقد تم قطع قطعة الجاد هذه في وسطها إلى نصفين، مما يعني أنه يمكن استعمال القطعتين معاً أو إحداهما فقط.

لا يزال يعشق هذا الحجر، والكثيرون حريصون على جمع الجاد؛ ليس لأنه بإمكانه توسيع نظرتهم وتعديل مزاجهم فحسب، وإنما لأنه استثمار جيد أيضاً. فقبل 2000 عاماً، خلال عصر دول وارينغ وقع حدث مؤثر حين أُعيد غرض سليم إلى مالكه عندما كانت دولة تشينغ مستعدة لتبادل قطعة قديمة من الجاد مع دولة زاو مقابل 15 مدينة؛ مما رفع سعر الجاد إلى الذروة. وكما هي الحال مع مقولة «قد يكون للذهب ثمن لكن الجاد لا يثمن»، إن القيمة الحالية للجاد في سوق المزاد العلني خارج البلاد وفي الصين قد ازدادت على نحو كبير. وبما أن هناك أشخاصاً من أنحاء العالم كافة يسعون لجمع الجاد فقد أصبح تدريجياً من القطع المفضلة في أسواق المزاد العلني. (الصورة 2-9) (الصورة 2-10)



الصورة 2-10 خاتم الجاد هذا على شكل حيوان، ويرجع إلى ثقافة هونغ شان، وهو محفوظ حالياً في إدارة بكين للتراث الثقافي

ثقافة هونغ شان ثقافة زراعية أوجدتها القبائل التي تقطن شمال جبل يان شان بالقرب من الضفاف العلوية لنهري دالينغ وزيلياو قبل 5000 و6000 سنة. وتعود ثقافة هونغ شان إلى العصر الحجري الحديث. وخاتم الجاد هذا أخضر مصفر، وملمسه ناعم، كما أن ارتفاعه يبلغ 16 سم وعرضه 11 سم وقطره 2.7 سم وسماكته 2.3 سم. يبدو فم الوحش مفتوحاً قليلاً، أما عيناه الكبيرتان فمتلألئتان، وأذناه منتصبتان، وأنفه بارز للأمام، وهناك خطوط متعددة القنوات محفورة على أنفه، وجسمه مصقول وفيه ثقبان في الظهر. ويظهر هذا الخاتم الكثير من المعلومات عن الجاد في ثقافة هونغ شان.



محادثة بين التويج والشنيون

في مقدمة كتاب «بر الوالدين» (شياو جينغ)؛ وهو كتاب كلاسيكي عن الأخلاق الكونفوشيوسية ذُكِر أن «جسمي إرث ثمين لوالدي ولا يمكن أن يتلقى أي خدوش، وهذه بداية حسن سلوك الأبناء». وفي ضوء ذلك، يترك شعب هان من كلا الجنسين شعرهم طويلاً كمحاولة للالتزام بتعاليم الكونفوشيوسية؛ إذ كانوا يؤمنون أن الرأس أهم جزء في الجسم البشري، لذا أولوا تزيينه أهمية خاصة. وعادة، يدعو الناس زينة الرأس توي أو شو فو، ولها أربعة أنواع رئيسة: التويج أو التاج أو القبعة أو العمامة. والأنواع الثلاثة الأولى عبارة عن قبعات يعتمرها الإمبراطور والنبلاء، أما الأخيرة فغطاء رأس يستعمله عامة الشعب عادة. (الصورة 2-11)

وقد بدا التويج الأصلي كغطاء يتم استخدامه لتثبيت تسريحة الشعر. وبعد مجتمع العبودية ومع التقدم الاجتماعي، بدأ نظام التويج والثوب بالتشكل، وأصبحت المجموعة المتنوعة من القبعات أكثر تنوعاً. ومع حلول عهد سلالة هان ظهرت المطابقة الاجتماعية، وأصبح من الشروط الصارمة أن يعتمر الناس من الطبقات الاجتماعية المختلفة قبعات أو تويجات مختلفة في المناسبات المختلفة. وهكذا، أصبحت القبعة أو التويج من أهم رموز الرتب الاجتماعية. وقد كانت هناك أنواع كثيرة من التويجات في عهد سلالة هان، وأهمها ميان غوان وتونغ تيان غوان وتشانغ غوان وجين شيان غوان ووو غوان وفا غوان. وينبغي على الإمبراطور ارتداء ميان فو وميان غوان في المناسبات الكبيرة كحفل التضحية، أما تونغ تيان غوان فيرتديه



الصورة 2-11 صورة للإمبراطور المؤسس لسلالة سونغ الشمالية، من مجموعة في معبد نان شون

زاو كوان جين الذي يرتدي الثوب الإمبراطوري الأصفر والذي بدأ بالتمرد في تشين شياو وقلده مؤيدوه هو الإمبراطور المؤسس لسلالة سونغ الشمالية. وهو هنا يعتمر قبعة سوداء مع جناحين ممدودين، ويرتدي ثوباً أصفر اللون فاتحاً وواسعاً، ذا كمّين عريضين وياقة مستديرة، ويضع حزاماً ريشياً أحمر، وينتعل حذاء أسود. وهذا زيّ أنيق ومتكامل.

في المأدبات والاجتماعات الصباحية. وعلى المسؤولين من كل المستويات ارتداء تشانغ غوان في حفل التضحية، أما في اجتماع الصباح فيرتدي المسؤول المدني جين شيان غوان، في حين يرتدي المسؤول العسكري وو غوان. (الصورة 2-12) (الصورة 2-13) (الصورة 2-14)



وكان بإمكان النساء في العصور القديمة اعتمار القبعات؛ على الرغم من أنهن كنّ يولين اهتماماً أكبر بالشنيون ليجمّلن مظهرهن. وقد كان الشنيون بالنسبة إلى النساء متنوعاً للغاية، كما كان يتغير من عهد سلالة إلى أخرى. وهناك الكثير من

الصورة 2-12 تم العثور على هذه القطعة الفخارية التي يظهر فيها مسؤول مدني ملون من سلالة تانغ في ضريح لي زين، في قرية شينغ لونغ، في مقاطعة لي شوان، في إقليم شان شي

يرتدي المسؤول المدني جين شيان غوان وفانغ شين شو لينغ وثوباً علوياً قرمزي اللون. أما الثوب السفلي فأصفر اللون، وفانغ شين شو لينغ عبارة عن زينة لثوب البلاط مستديرة من الطرف العلوي ومربعة من الطرف السفلي. وحين يزور المسؤولون المحكمة الإمبراطورية يحملون هو بان، ويضعون فانغ شين شو لينغ حول رقبتهم.





الصورة 2-13 تفاصيل لوحة بريشة يان ليبين، وهي تصوّر الإمبراطور تاي زونغ من سلالة تانغ وهو يلتقي مبعوثين من توبو مهمتهم مساعدة الأميرة وين شينغ في الزواج من أجنبي

كانت العباءة والقميص ذو الياقة المستديرة الزي الرسمي للرجال خلال عهد سلالة تانغ؛ حيث تطورا من شي ني القديمة. وقد تم استخدام زي جو في القطعتين الأمامية والخلفية، كما تم وصل حواشٍ للياقة والأصابع والثنيات، في حين يكون الانقسام في الحواشي السفلية على كلا الطرفين موصولاً بشكل متصالب بقطع قماشية، أما عند الخصر فيتم تثبيت الثوب بحزام من الريش، ويُلبَس فو تو، بالإضافة إلى انتعال زوج من الأحذية الطويلة. وقد كان الإمبراطور تاي زونغ والمسؤولون في الرسم جميعاً يرتدون أثواباً وقمصاناً ذات ياقات مستديرة مع فو تو.

السجلات التاريخية التي ذكرت أنه يوجد ما لا يقل عن مئة شنيون للنساء. وأكثر الأنواع شيوعاً هو زوي جي؛ وهو على شكل مطرقة. أما أكثرها أسطورية فهو لين غشي جي خلال فترة الممالك الثلاث والذي يبدو كأفعى سامة، في حين أن النوع ذا الشكل الصيني التقليدي هو دالاشي، ويبدو على شكل مروحة كبيرة؛ وكانت نساء مانشو يضعنه خلال عهد سلالة تشينغ. (الصورة 2-15) (الصورة 2-16)



الصورة 2-14 تم العثور على جين يي شان غوان من عهد الإمبراطور وان لي من سلالة مينغ في ضريح دينغ الإمبراطوري في بكين

التاج بكامله مصنوع من خيوط الذهب المشبوكة، وأجزاؤه موصولة ببعضها بأسياخ من الذهب الخام، وقد تم ثني الذهب المجدول واستخدامه كوصلات من الخارج، وكلا القرنين مشبوكان على نحو منفصل، ثم موصولان على شكل أنبوب، وتوجد زينة تنينين يلعبان بلؤلؤة على القطعة الخلفية. ويتميز هذا التاج بصناعة متقنة وشكل حيوي، وهو التاج الأسمى لكل المجوهرات المصنوعة من المعادن الثمينة خلال عهد سلالة مينغ؛ فهو مصنوع من قطعة أمامية وأخرى خلفية وقرنين، ويبلغ ارتفاعه 24 سم، و22 سم من الخلف، و14.7 سم من الأمام، وقطره 20.5 سم، ووزنه 826 غراماً.





الصورة 2-15 تم العثور على رسم هذه الراقصة عام 1972 في ضريح زانغ ليتشين (655-702 م) في أستان في حوض تورفان في تشين جيانغ

وضعت الراقصة الظاهرة في الرسم شنيوناً مرتفعاً، مع هوا ديان يطوق عنقها، ورسم طائر على جبهتها. وهي ترتدي ثوباً أحمر طويلاً، وتنتعل زوجاً من الأحذية المسطحة، وتمسك وشاحاً حريرياً بيدها اليسرى وكأنها تلوح به كجزء من رقصتها، كما أن يدها اليمنى تبدو متأذية.



الصورة 2-16 علم الرأس الذي كانت النساء يضعنه خلال عهد سلالة تشينغ

كان علم الرأس نوعاً من زينة الرأس المبالغ بها، ووضعته نساء مانشو خلال عهد سلالة تشينغ. وهو على شكل مروحة طويلة مع منصب حديدي كدعامة، ومغطى بالساتان، ويتميز بتزيينه بأنواع مختلفة من المجوهرات والأزهار وهوا ديان، وفيه شرائط متدلية على كلا الجانبين. وزينة الرأس هذه التي كانت شائعة للغاية خلال عهد سلالة تشينغ تمنح مرتديها جمالاً أخاذاً وسحراً فريداً.

الصورة في الأعلى 2-17 هذا الشكل الفخاري الترابي لامرأة تضع شنيوناً مائلاً، وهو يعود إلى عهد سلالة تانغ، وقد تم العثور عليه في فرع شانغ آن في جامعة شان شي، وهو قطعة من المجموعة الموجودة في معهد الآثار في مقاطعة شان شي، وقد تم عرضه في متحف العاصمة في بكين

هذه المرأة اللطيفة والمكتنزة تضع رو شون مرتفعاً ومعقوفاً وشنيوناً مائلاً. وهي تبتسم وتضع يدها الأولى فوق الأخرى كما لو أنها تنصت باحترام.



الصورة 2-18 هذا الشكل الفخاري الترابي لامرأة تضع شنيوناً مائلاً، وهو يعود أيضاً إلى عهد سلالة تانغ، وقد تم العثور عليه في ضريح لي شيان بين أضرحة تانغ هوي في بو تشينغ في مقاطعة شان شي، وهو قطعة من المجموعة الموجودة في معهد الآثار في مقاطعة شان شي

هذا الشكل مصنوع بعناية فائقة؛ فقد شبكت المرأة يديها أمام صدرها، وهي تتصف بالأناقة التي تتميز بها المرأة النبيلة في عهد تانغ؛ مما يؤكد ازدهار تلك الفترة.



استمدت زوي جي اسمها لكونها على شكل مطرقة، وصنعها سهل وعملي. وقد كان الرجال والنساء مولعين بها، لدرجة أن بعض الجنود كانوا يضعونها. في البداية، يتم جمع الشعر وشدّه، ثم يلف على شكل مطرقة، وبعدها يُثبَّت بملقط شعر لصنع الشنيون. ويمكن لف الشعر عدة مرات لتشكيل طبقات، ولا يكون من الممكن التغيير سوى في الطبقة العليا من الشنيون عند موقع المطرقة. ووفقاً للسجلات التاريخية، وضعت صان شو زوجة ليانغ يي المطرقة على جانب رأسها فمال الشنيون للأسفل وبدا وكأنه سيسقط؛ وهذا يدعى دو ما جي (شنيون السقوط عن الفرس). وحين دخلت زاو هي دي أخت زاو في يان التي كانت عشيقة الإمبراطور تشينغ من سلالة هان القصر الإمبراطوري كانت تضع مطرقة أعلى تدعى تشين تشينغ جي (الشنيون الجديد). **(الصورة 2-17)** **(الصورة 2-18)**





الصورة 2-19 امرأة من المانشو تضع ليانغ باتو. تم التقاط هذه الصورة في بكين عام 1871-1872 بعدسة المصور البريطاني جون تومسون (1837-1921)

يظهر شنيون هذه المرأة أنها متزوجة. فقد كان ليانغ باتو تصفيفة شعر تقليدية بين نساء المانشو؛ حيث يتم جمع الشعر في الأعلى، وقسمه إلى جزءين، ثم تسريحه في شنيون مسطح وطويل، ووضع مشبك مسطح وطويل يبلغ مقاسه 34 سم و4 سم يُغرز في الشعر لدعمه من الداخل، بينما يربط ما تبقى من الشعر في الخلف في شنيون مسطح ومضغوط على خلفية الياقة.

يقال إن زين من سلالة وي هي التي ابتكرت لينغ شي جي. ويذكر أنه مباشرة بعد دخول زين القصر الإمبراطوري رأت أفعى خضراء في فمها جوهرة حمراء كبيرة، ولم تكن الأفعى تهدد الناس، لكن ما إن حاول أحدهم الاقتراب منها لإبعادها أو قتلها حتى اختفت، فتفاجأت زين، وبعدها خطرت لها فكرة تجربة شنيون يلف كالأفعى ويكون مختلفاً كل يوم، وقد كان ذلك الشنيون مذهلاً لدرجة أن الكثيرين في القصر حاولوا تقليده، ولكنهم لم يستطيعوا صنع مثيل له بالضبط؛ ولهذا تمّت تسمية هذا الشنيون غير العادي لينغ شي جي.

كان «علم الرأس» تصفيفة شعر تقليدية لدى نساء مانشو خلال عهد سلالة تشينغ، وأنواعها الرئيسة ليانغ باتو ويي زي تو وروان شي تو وجيا زي تو ودالاشي.

وقد كان الشنيون لدى النساء في بداية عهد سلالة تشينغ بسيطاً؛ إذ تقوم النساء عادة بشد شعرهن إلى الأعلى، ثم يستخدمن أشرطة طويلة تدعى «مربعات مسطحة» لدعم الشعر من الداخل وتشكيل شنيون مسطح وطويل من الجانبين. وبعد حكم الإمبراطور تشيان فينغ من سلالة تشينغ، أصبح شنيون النساء أعلى وأعلى، وزواياه أكثر اتساعاً، مما تطلب الاستعانة بشيء يدعى دالاشي مصنوع مع دعامة على شكل مروحة مصنوعة من الذهب أو الفضة أو الجاد أو خشب البخور، وغطاء خارجي أسود مصنوع من الساتان أو المخمل مع مجوهرات متدلية من الجانبين. (الصورة 2-19)

وليبدو الشنيون أجمل، أضاف القدماء وصلة مصنوعة من الشعر البشري مع المخمل الأسود، وأحياناً كان يستعاض عنها بوصلة مصنوعة من شعر الخيول. وقد تم استخدام وصلة الشعر في الصين لأول مرة خلال عهد سلالة زو، واستمر ذلك خلال عهد تانغ، ثم شاع خلال عهد سلالتي مينغ وتشينغ، واستمر استخدامها حتى اليوم. (الصورة 2-20)

كانت الصين أول بلد يستخدم وصلات الشعر المستعار. وبسبب الطقس الحار في أفريقيا، كان المصريون القدماء يحلقون رؤوسهم، ويضعون وصلة شعر مستعار، وكذلك لحية مستعارة مصنوعة من الصوف والشعر البشري. ولتبريد الرأس وجعل وصلة الشعر المستعار مريحة، كان المصريون يضعون



الصورة 2-20 تضع الراقصة في هذا الشكل الفخاري الملون وانغ شيان جي، وقد تم العثور على هذه القطعة عام 1985 في ضريح زانغ تشين في قرية غو في بلدة زاو يان في مقاطعة تشانغ وو في مقاطعة شان شي

كان وانغ شيان جي وصلة زائفة تستعمل في الشنيون، وقد اكتسب شهرة خلال عهد سلالة تانغ، ويمكن رؤيته في اللوحات الجدارية في الكثير من الأضرحة القديمة.





الصورة 2-21 وصلة شعر مستعار يضعها رجال أوروبيون

كان الكثير من الأوروبيين من الملوك والناس العاديين مولعين بوضع وصلات الشعر المستعار منذ القرن 16 وحتى القرن 18. وفي النهاية، أصبحت وصلة الشعر رمزاً للحكم المطلق. يضع الرجل النبيل الظاهر في الصورة وصلة شعر طويل، ويعتمر قبعة سوداء، ويرتدي سترة بيضاء وسروالاً أحمر، وينتعل حذاء عالي الساقين، ويحمل بيده اليمنى عصا، بينما يتدلى سيف من غماد على خصره. وهو يبدو فخوراً وواثقاً من نفسه؛ مما يوحي بمدى الرقي الذي يضفيه وضع وصلة الشعر خلال تلك الفترة.



الصورة 2-22 وصلة شعر مستعار تضعها نساء أوروبيات

كان الشنيون الزائف الضخم الصيحة السائدة في البلاط الملكي في أوروبا خلال القرن 18. وقد كانت وصلة الشعر هذه مصنوعة بعناية وفخامة وتلفت الانتباه. وليتمكن المصفف من تشكيل الشنيون المبالغ به والمرتفع هذا، كان غالباً يصعد على سلم. تبدو الطبقات المكدسة فوق بعضها من اللفافات الزائفة كبيرة للغاية؛ لدرجة أن الناس كانوا يشكون في مدى تحمل العنق النحيل للمرأة النبيلة هذا «الوحش الضخم».

دعامة تحت وصلة الشعر لرفعها عن الرأس؛ مما يسمح للهواء بالوصول إلى فروة الرأس، بالإضافة إلى حمايتها من الشمس (الصورة 2-21) (الصورة 2-22)

وفي القرون الوسطى وبعدها، أطال الكثير من الرجال الأوروبيين شعرهم، واستخدموا وصلات الشعر المستعارة لصنع الشنيون. أما في الصين في ذلك الوقت، كان الناس يضعون الشنيون ويغطون شعرهم بقبعة، ونادراً ما كانوا يستخدمون وصلات الشعر المستعارة. وفي أوروبا، كان الرجال من جميع الطبقات يضعون وصلات الشعر المستعارة التي أصبحت تدريجياً رمزاً للقوة الملكية، وقد ساعد

ملكان فرنسيان في ابتكار صيحة وصلات الشعر المستعار في أوروبا وهما لويس الثالث عشر (1610-1643) الذي كان يضع وصلة الشعر لتغطية ندبة على رأسه، ولويس الرابع عشر (1643-1715) الذي كان يضع وصلة شعر بسبب شعره الخفيف. وقد قام رجال بلاطهما بوضع وصلات الشعر لإرضائهما، فأصبحت وصلة الشعر ذات شأن بين النبلاء، ثم شاعت بين عامة الناس. وفي عام 1660، عاد ملك إنكلترا شارلز الثاني من منفاه في فرنسا ليستعيد الحكم، وأحضر معه وصلات الشعر التي يصل طولها إلى الكتف، وسرعان ما شاعت وصلات الشعر في إنكلترا ثم في معظم أنحاء أوروبا خلال القرن السابع عشر. وفي القصور الملكية خلال القرن الثامن عشر، أصبحت صيحة الشعر الشائعة هي الشنيون المرتفع. وفي النصف الثاني من ذلك القرن، وضعت النساء في قصر فيرساي في فرنسا شنيوناً مرتفعاً للغاية يبدو فخماً ولافتاً للأنظار. ولتشكيل ذلك الشنيون، كان الناس يضطرون لاستخدام وصلات شعر كبيرة ومراهم عطرية وزينة إضافية. ولأن طراز الشعر هذا كان متألقاً ويتطلب البذخ، أصبح رمزاً للطبقة النبيلة المنحلة في فرنسا، والتي حصلت الثورة الفرنسية ضدها عام 1789.



| المشي مع «النيلوفر الذهبي»

منذ القرن العاشر شاع ربط أقدام النساء؛ إذ كان الرجال الصينيون يحبون النساء ذوات الأقدام الصغيرة، كما فضّل اليابانيون النساء ذوات الأعناق الطويلة، وفضّل البريطانيون النساء ذوات الخصر الممشوق. ويدعى ربط القدم «النيلوفر الذهبي»، حيث يمثل الذهب الثروة والمكانة الاجتماعية، كما أن النيلوفر الذهبي فصيلة نادرة ترمز للطيبة والجمال وفقاً للبوذية والطاوية. وبعد ربط القدم تتكسر العظام، فتنثني القدم وتتخذ شكل قوس، وعندها لا يتجاوز طول القدم 10-13 سم من رأس الإصبع وحتى نهاية الكعب؛ مما يجعل بصمة القدم تبدو كبتلة زهرة نيلوفر. وبالتالي، إن عبارة «النيلوفر الذهبي» مستخدمة للتعبير عن جمال أقدام النساء الصغيرة. (الصورة 2-23)

وقد اختلفت الآراء حول أصل ربط قدمَي المرأة؛ إذ تقول إحدى النظريات إنها نشأت خلال عهد الملك الشاعر لي يو من سلالة تانغ الجنوبية. وفي أحد الكتب التي كتبها تاو زونجي من سلالة يوان، ذُكر أن ياو - وهي عشيقة الملك - كانت تتمتع بشكل جميل، وكانت راقصة بارعة، وقد طلب منها الملك استخدام الحرير لربط قدميها لتبدوا أصغر حجماً، وليبدو شكلهما هلالياً؛ مما سمح لها بالدوران في الهواء بشكل يسعد الملك. وبعد ذلك، أعجب الناس بالقدمين الصغيرتين المربوطتين، وأصبح ذلك مرغوباً لديهم. وخلال عهد السلالات الخمس، كان ربط القدمين غير شائع إلا داخل القصر الإمبراطوري، لكن في عهد سلالة سونغ الشمالية شاع ذلك. ووفقاً لبوزا مان الشهير الذي كتبه سو شي من سلالة سونغ، إن «جمال الشكل يعتمد على القدم الصغيرة»، كما أن «الحذاء المتقوس ذا اللون الأصفر الفاتح صغير جداً، في حين أن الخصر الممشوق لا يمكنه مقاومة قوة الرياح». وقد كتب تاو زونجي أنه كانت هناك بعض النساء اللاتي ربطن أقدامهن قبل عهد شين ينغ ويوان فينغ، ثم تبنّت معظم النساء تلك الممارسة في ما بعد، وأصبحت من لا تقوم بذلك منبوذة. ومن سلالة سونغ انتشرت عادة ربط القدمين، وفي عهد سلالتي مينغ وتشينغ وصلت تلك العادة إلى الذروة؛ فربط المرأة لقدميها



الصورة 2-23 امرأة ذات قدمين صغيرتين بسبب ربط القدم

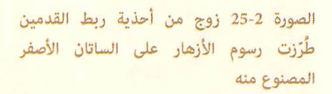
ذُكر في ملاحظات لي وينغ أنه خلال عهد سلالة مينغ أنفق رئيس وزراء يدعى زاو مبلغاً ضخماً من المال لشراء امرأة جميلة لا يمكنها الوقوف ولا المشي على قدميها الصغيرتين بسبب ربطهما. وقد كان أشخاص آخرون يحملونها مما أدى إلى تسميتها «السيدة المحمولة». فكلما كانت قدما المرأة أصغر حجماً ازدادت فرصها بالزواج من رجل من عائلة مرموقة.



الصورة 2-24 زوج من أحذية ربط القدمين، طُرِّز عليه رسم الأوركيد على الساتان الوردي

كانت أحذية ربط القدمين تدعى أيضاً أحذية «غونغ». وغونغ هو وحدة قياس قديمة تبلغ 15 سم تقريباً، وما إن تبدأ المرأة بربط قدميها حتى لا تستطيع العيش بدون حذاء ربط القدمين حتى وهي تأكل أو تنام.





الصورة 2-25 زوج من أحذية ربط القدمين طُرِّزت رسوم الأزهار على الساتان الأصفر المصنوع منه

يمكن تصميم أحذية ربط القدمين بمئات الأشكال؛ كأحذية النوم، والأحذية مدببة المقدمة، وأحذية النيلوفر، والأحذية القطنية، والأحذية عالية القاعدة، وغيرها... وهذه الأحذية الصغيرة مصممة بأناقة، ومطرزة بفخامة بأشكال مباركة مختلفة تزيّن الحذاء من الداخل والخارج. وغالباً ما كانت العائلات الثرية تستخدم أحجاراً كريمة كاللؤلؤ والعقيق لتزيين أحذية ربط القدمين.



الصورة 2-26 حذاء ربط القدمين ذو كعب عالٍ، مع شريط مزركش على ساتان أحمر

وصل تطور ربط القدمين إلى الذروة في عهد سلالة تشينغ، حين صارت النساء من جميع الطبقات الاجتماعية يربطن أقدامهن. وعادة، يكون الحذاء الصغير ملوناً بألوان زاهية، ونعله مصنوعاً من الساتان المطرز والمزين. والحذاء الأحمر الظاهر في الصورة والمصنوع من الساتان والمزود بمعنى أخلاقي مبارك كان شائعاً خلال عهد سلالة تشينغ.

أو عدم قيامها بذلك هو الذي يحدد مدى سعادتها في حياتها بعد الزواج. وقد كان الرجال من معظم طبقات المجتمع يفتخرون بالزواج من امرأة صغيرة القدمين، ويخجلون من زوجاتهم إذا كانت أقدامهن كبيرة. (الصورة 2-24) (الصورة 2-25) (الصورة 2-26)

كانت الفتيات عموماً يبدأن بربط أقدامهن حين يكنّ في الخامسة أو السادسة من العمر؛ حيث يستخدمن شريطاً قطنياً أبيض طويلاً لربط الأصابع الأربع باستثناء الإبهام وجعلها تنحني نحو القوس وتشكيل قدم نيلوفر، وقد كان ربط القدمين مؤلماً لأن العظام تتكسر واللحم ينهرس. وقد صدق المثل القائل «بدون بركة من الدموع لن تكون هناك أقدام صغيرة»؛ مما يشير إلى المرارة التي كانت الكثير من النساء يشعرن بها بخصوص تلك الممارسات. وقد وصف فينغ جيكاي في روايته كيف ساعدت جدته في ربط قدم شيانغ ليان بمهارة كبيرة، لدرجة أنها فعلت ذلك دون أن تأخذ نفساً. (الصورة 2-27) (الصورة 2-28)



الصورة 2-27 حذاء ربط القدمين، طُرّزت على الساتان الأزرق المصنوع منه أشكال نباتات

إنه حذاء انتعلته نساء المانشو في عهد سلالة تشينغ. وهو ذو شكل متميز؛ إذ يبلغ ارتفاع النعل الخشبي 5-15 سم، ويتصف هذا النعل بأنه عريض من الأعلى، أما من الأسفل فمدور من الخلف ومقعر من الأمام؛ مما يجعل بصمة القدم مماثلة للأثر الذي يتركه حافر الحصان. وغالباً ما يتم تطريز صور الأزهار والطيور والفراشات والحشرات عليه، كما تُزيِّن أحذية نساء الطبقة النبيلة بالعديد من المجوهرات التي تجعلها تبدو فخمة وناعمة.



الصورة 2-28 حذاء ربط القدمين مُطرّزة عليه أشكال أزهار

هذا النوع من الأحذية ملون بأسلوب بسيط، ولكنه أنيق ومطرز. كما أنه ذو طراز ريفي، وغالباً ما تنتعله السيدات الكبيرات في السن.

انتشرت قدم النيلوفر لأنها تتطابق مع المعايير الجمالية الفريدة التي نالت إعجاب الناس منذ القرن العاشر وحتى بداية القرن العشرين. وعلى الرغم من أن النساء اللاتي يربطن أقدامهن يعانين أثناء المشي، إلا أن الرجال يشعرون بالحنان عليهن، ويساعدونهن لأنهن يرضين أذواقهم الجمالية. وفي بحث عن قدم النيلوفر من عهد سلالة تشينغ، تم تصنيف الأقدام الصغيرة في تسع درجات؛ وفقاً لنعومتها ورقتها وأناقتها. وقد ارتبط هذا المفهوم الجمالي بالوعي الجنسي الغني. وكما كتب لي يو، إن الهدف من ربط القدمين يكمن في جاذبيته الجنسية، بالإضافة إلى وجود العديد من الإيحاءات الأخلاقية في ذلك. فوفقاً للمدرسة الكونفوشيوسية التقليدية، إن أعلى المستويات الأخلاقية بالنسبة للنساء هي «الخضوع»، والالتزام «بالطاعات الثلاث» (طاعة المرأة لأبيها قبل الزواج، وطاعتها لزوجها خلال حياتها الزوجية، ولأبنائها بعد ترملها)، و«الفضائل الأربع» (الإخلاص، والسحر الجسدي، وآداب الحديث، والكفاءة في أعمال الخياطة). وهكذا، اعتبرت الكتف المائلة والصدر المسطح والخصر الرفيع والردفين الضيقين كعلامات للجمال الخارجي لدى المرأة، فيما القدرة على التماسك والطاعة واللطف والرقة والتواضع علامات للجمال الداخلي. والألم الذي تعاني منه النساء بسبب ربطهن أقدامهن بإمكانه أن يجعلهن أكثر تحملاً ولطفاً، كما يمكّنهن من تطوير أخلاقهن وطقوسهن حتى أعلى المستويات. وعلاوة على ذلك، لقد حدّ ربط القدمين من نطاق الأنشطة التي تستطيع النساء القيام بها. إذ إن صعوبة المشي بسبب القدمين الصغيرتين تحدّ من قدرة المرأة على خيانة زوجها؛ على المنوال نفسه الذي اتبعه الرجال المصريون القدماء الذين كانوا يمتنعون عن إعطاء زوجاتهم أحذية، أو الرجال الأوروبيون في العصور الوسطى الذين صنعوا أحزمة العفة للنساء. (الصورة 2-29) (الصورة 2-30)

تستمر المعاناة التي يتسبب بها ربط القدمين مدى الحياة، إذ يبقى الوقوف صعباً بالنسبة إلى أولئك النساء؛ مع أنهن مضطرات للعمل بجد وهمة - باستثناء بعض النساء الثريات - مما جعل الأمر أكثر صعوبة. واستمرت تقاليد ربط القدمين لأكثر من ألف سنة، ولم يتم التخلص منها نهائياً إلا بعد ثورة 1911. (الصورة 2-31)



الصورة 2-29 نساء من عائلة ثرية خلال عهد الإمبراطور غوانغ تشو من سلالة تشينغ في 1880

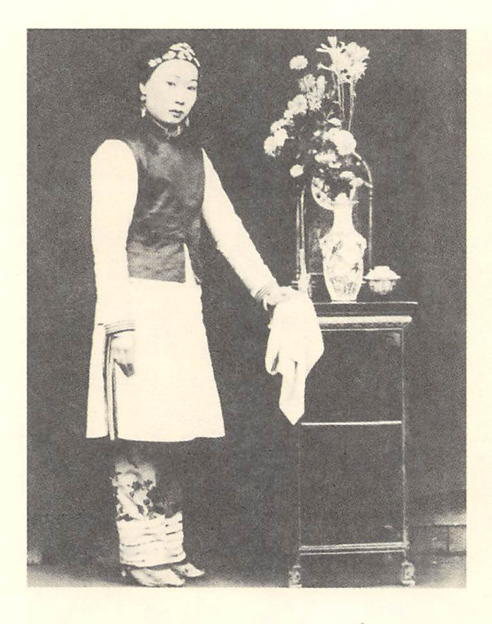
بعد دخولهم من معبر شان هاي لتولي السلطة، عارض حكام سلالة تشينغ الجديدة ربط القدمين. لكن بما أن هذه العادة تعكس المعايير الجمالية التقليدية في الصين، فقد ظلّت مستخدمة على الرغم من المحاولات المتكررة لمنعها. وفي مجتمع يعتبر فيه الرجال متفوقين على النساء، وصل ربط القدمين إلى الذروة خلال عهد سلالة تشينغ كما يظهر في الصورة؛ إذ إن جميع النساء أقدامهن صغيرة.





الصورة 2-30 امرأة عجوز بقدمين مربوطتين تدخن وهي ترتاح على مبخرة في المدينة المحرمة في 28 نوفمبر عام 1918

عند انتهاء الحرب العالمية الأولى في 11 نوفمبر 1918، كانت الصين واحدة من الدول المنتصرة. وقد ابتهج الناس هناك لتلك الأخبار الجيدة، ونظمت الحكومة احتفالات من 14-16 نوفمبر و28-30 نوفمبر. وفي 28 نوفمبر، عقدت الحكومة اجتماعاً عاماً للاحتفال بالنصر، وحصل استعراض ضخم للقوات المسلحة الصينية والأجنبية، وإطلاق 108 طلقات نارية خارج قصر تايهي في المدينة المحرمة.



الصورة 2-31 امرأة مربوطة القدمين، عام 1912

منع الإمبراطور كانغ تشي من سلالة تشينغ ربط القدمين، كما تم إصدار أوامر مماثلة خلال عهد مملكة تايب ينغ (1851-1864)، إلا أن تلك العادة المتجذرة استمرت، وظل ربط القدمين سائداً حتى نهاية عهد سلالة تشينغ؛ حين جلب النقل البحري الحضارة الغربية إلى الصين، وبدأ المفكرون يعترضون بقوة على ربط القدمين.

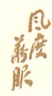
وقد كان مشدّ الخصر واتو بالنسبة للنساء الغربيات مرادفاً لقدم النيلوفر بالنسبة للنساء الصينيات؛ فلضمان حصولهن على خصر ممشوق وجميل، تتحمل النساء الغربيات منذ طفولتهن الألم الناجم عن حصرهن في مشدّ واتو ضيق على نحو يومي. وقد كانت وسيلتا الزينة هاتان متشابهتين من ناحية الذوق الجمالي؛ حيث يتم الضغط على أجساد النساء بطريقة ما للحصول على عيب مرغوب جمالياً على حساب الصحة الفيزيولوجية للمرأة.

الملابس الرائعة والمظاهر الأخاذة

وكما يعشق الجميع الجمال، أحبت النساء في الماضي تزيين أنفسهن؛ حتى لو لم تكن لديهن المجموعة الكاملة من مستحضرات التجميل المتوفرة حالياً. فمنذ القدم، حاول الناس اختراع العديد من مستحضرات التجميل الطبيعية لحماية البشرة أو لتحسين المظهر، حيث دهن المصريون القدماء أجسادهم بالزيت لحماية بشرتهم من الحروق الشمسية والوقاية من البعوض، كما رسموا خطاً على طول حافة الجفن لحماية العين من الأمراض والحشرات باستخدام طلاء مصنوع من مزيج مسحوق معدن الملكيت وثنائي أوكسيد المنغنيز وكبرتيد الرصاص (إذ كانوا يعتقدون حينها أنه بإمكان الذبابة وضع بيوضها في عيون الناس). وكان اليونانيون القدماء يرسمون خطاً حول العينين بمزيج من زيت الزيتون ورماد خشب الدردار، ويحافظون على رطوبة بشرتهم بوضع العسل على وجوههم. أما في الصين، فكانوا يستخدمون مستحضرات التجميل منذ 2000 سنة؛ حيث توجد أدلة تعود إلى فترة الدول المتحاربة تُظهر أن كريم الأساس وأحمر الشفاه كانا مستخدمين في ذلك الحين. ووصل تطور المجتمع الإقطاعي إلى ذروته في عهد سلالة تانغ؛ فقد كان ذلك زمن تقدم ثقافي غير مسبوق، حيث وصلت الحضارة المادية إلى أعلى مستوياتها. إذ تتمتع الصين بأراضٍ شاسعة، وهي أمة قوية، ولديها علاقات كثيرة مع الدول الأخرى، كما أن ثقافتها مزدهرة. وخلال تلك الفترة، وصلت مساحيق التجميل والأزياء إلى مستوى عالٍ من التقدم والفخامة والأناقة. (الصورة 2-32)

وقد كانت عملية وضع المرأة من سلالة تانغ لمساحيق التجميل تشمل وضع مسحوق الرصاص، ثم تلطيخ كامل الوجه بالأحمر، وبعدها رسم زينة صفراء على الجبهة، ورسم حاجبين أسودين، ووضع أحمر شفاه، وإبراز الغمازتين، وإلصاق الزينة على الجبهة.

يتمتع مسحوق الرصاص بقوام ناعم، وهو أبيض ولامع، ويتم وضعه عادة على بشرة الوجه والعنق والصدر المكشوفة؛ إذ كانت النساء يهتممن ببشرتهن كثيراً؛ فكما يقول المثل: «البشرة النقية تخفي الكثير من العيوب». ولتبييض البشرة،



الصورة 2-32 تدعى هذه اللوحة موسيقى البلاط، وهي تعود إلى عهد سلالة تانغ، كما أنها محفوظة في متحف القصر في تايبي في الصين

تصور هذه اللوحة 12 خليلة يجلسن حول طاولة كبيرة ويعزفن الموسيقى. وجميعهن يرتدين أثواباً ذات ألوان مشرقة، كما توجد رسوم ناعمة مطرزة على ملابسهن، بالإضافة إلى أن التويجات مصنوعة من الحرير المنسوج. وتضع النساء مساحيق التجميل البيضاء، وقد رسمت كل منهن هوا ديان بين حاجبيها. وهن يبدون ممتلئات وجميلات وناعمات وأنيقات. اللوحة مرسومة على قطعة حريرية، ويبلغ ارتفاعها 48.7 سم وعرضها 69.5 سم.

تتناول بعض النساء كميات ضئيلة من الزرنيخ يومياً؛ مخاطرات بحياتهن في محاولة للحصول على تأثير مبيض «من الداخل إلى الخارج». وتتم صناعة أحمر الشفاه والوجنتين من العصفر، وقد بدأ استخدامه منذ عهد سلالة شانغ، ولكنه شاع وانتشر في عهد سلالة هان، حيث ازداد عدد النساء اللاتي يستخدمنه ليصل انتشاره إلى الذروة خلال عهد سلالة تانغ.

وقد نشأ رسم الحاجبين في عهد الدول المتحاربة، حين استخدم الناس أغصان الصفصاف المتفحمة لرسم حواجبهم بهدف تحسين أشكالها وزيادة سوادها، وبعد ذلك تم اكتشاف صباغ معدني أزرق يُدعى داي يتم مزجه مع الماء لرسم الحاجبين. وفي عهد سلالة هان، كانت النساء يرسمن حواجبهن كل يوم، وفي فترة ازدهار سلالة تانغ ظهرت الحواجب العريضة على شكل ورقة قرفة أو جناح بعوضة، وكان يتم وضع الصباغ حول حافة الحاجب ليبدو طبيعياً. وحين وصل الإمبراطور تشوان من سلالة تانغ إلى الحكم كانت هناك الكثير من أشكال الحواجب، حيث أمر الإمبراطور أحد الرسامين برسم لوحة للأنواع العشرة للحواجب والتي تشمل الحاجب الذي يبدو كبطة المندرين، أو ذاك الذي يبدو كتلة، أو الذي يبدو على شكل دخان متصاعد. (الصورة 2-33) (الصورة 2-34)

وقد كان هوا ديان زينة للجبهة مصنوعة من الأوراق الذهبية والورق الأسود الفاتح ومادة هلامية مصنوعة من عظام السمك. وهو مقطوع على شكل زهرة، ثم يتم لصقه على الجبهة بين الحاجبين. وقد كان أكثر أنواع هوا ديان شيوعاً ذاك الذي يكون على شكل زهرة البرقوق. فوفقاً لسجل أصل الأشياء، خلال عهد سلالة سونغ، نامت الأميرة شو يانغ ابنة الإمبراطور وو من سلالة سونغ إحدى السلالات الجنوبية تحت خميلة قاعة هان زانغ، وهبّ الهواء العليل فتساقطت بعض الأزهار عن الأشجار وحطت إحداها على جبهة الأميرة، ثم تبعتها أربع زهرات، ولم يعد بالإمكان إزالتها لعدة أيام. وقد أعجبت بها الخادمات، وبدأن بتقليدها وتزيين جباههن بهوا ديان. (الصورة 2-35)



الصورة 2-33 جزء من لوحة «نساء جميلات يضعن الأزهار في شعرهن» لزو فانغ من سلالة تانغ. وتُظهِر اللوحة العديد من السيدات الراقيات اللواتي يستمتعن بمنظر الأزهار في الحديقة تحت أشعة الشمس المشرقة في يوم ربيعي

ترتدي النساء في الصورة أثواباً طويلة قرميدية اللون، ويضعن أوشحة بنية اللون، بالإضافة إلى وضعهن الأزهار في الشنيون المرتفع. كما أن حواجبهن مقوسة، وعيونهن لوزية الشكل، وابتساماتهن رائعة. يبلغ ارتفاع اللوحة 46 سم وعرضها 180 سم.



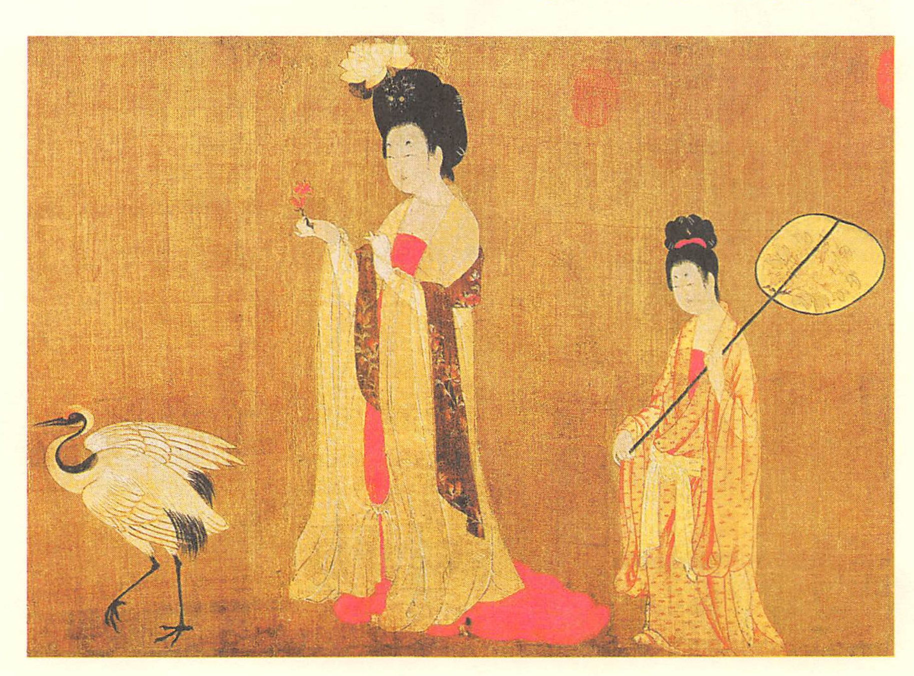
الصورة 2-34 جزء من لوحة «نساء جميلات يضعن الأزهار في شعرهن»

ترتدي السيدة الواقفة قميصاً فاتح اللون فوق ثوب قرميدي اللون مزين بأشكال ميداليات خضراء وبنفسجية، وتضع وشاحاً بنفسجي اللون عليه صور لطائر عنقاء يحلق بين الغيوم. ولديها حاجبان مقوسان على شكل جناح بعوضة، حيث تدعى هذه الصيحة «الحاجب العريض».

«ملامسة الغمازات» تعني وضع أحمر الوجنتين على التجويفين الطبيعيين في الوجنة بهدف التزين، أو إلصاق الأوراق الذهبية هناك كهوا ديان. ويتم رسم شكل هلال أحمر اللون بطلاء أحمر الشفتين على الصدغين، وقد كان ذلك شائعاً في منتصف عهد سلالة تانغ ونهايته. (الصورة 2-36)

الصورة 2-35 جزء من لوحة «نساء جميلات يضعن الأزهار في شعرهن»

في يسار اللوحة توجد امرأة نبيلة تضع زهرة نيلوفر في الشنيون، وترتدي «روتشون» تقليدياً بخصر عالٍ مغطى بقميص نسيجي عليه مربعات بيضاء، وتتبعها خادمة تحمل مروحة. كما يزين هوا ديان وجه المرأة التي تحمل وردة حمراء بيدها اليمنى، وقد كان الثوب الطويل المغطى بقميص نسيجي والشنيون مع الزهرة شائعين خلال عهد سلالة تانغ.





كما كانت النساء في ذلك الحين يطلين أظافرهن، حيث يلتقطن البتلات الحمراء لشجرة البلسان ويعصرنها لاستخلاص عصارتها، ثم يقصصن بعض قطع القماش على شكل أظافر ويغمسنها في العصارة ويغطين بها أظافرهن. وفي حال تم لف قطع القماش بشدة حول الأظافر وتركت كذلك طوال الليل فستصبغ الأظافر بالأحمر الفاتح. وعند تكرار العملية يصبح اللون أكثر إشراقاً، وقد يدوم لعدة أشهر.

الصورة 2-36 جزء من لوحة «جميلات يرتدين هو فو» لفنان مجهول

سُرِقَت هذه اللوحة من ضريح آستان على يد عصابة يابانية يقودها أو تاني هوكا روميزو في بداية القرن العشرين. وتبدو فيها الراقصة هادئة ومهيبة، وترتدي هو فو مع ياقة مقلوبة للأسفل. وبفضل مساحيق التجميل، تبدو وجنتاها ممتلئتين وورديتي اللون. أما حاجباها فمقوّسان كأغصان الصفصاف، ويوجد هوا ديان مرسوم على جبهتها بالإضافة إلى شكل هلال أحمر اللون على جانبي وجهها.



المَلبوسات
والإكسسوارات الصينية

الفصل الثالث

الثوب الواسع والحزام العريض:
ملابس الرجل النبيل

| لا تقل إنك لا تملك أي ثياب، لأنني سأشارك ثوب الحرب معك: ثقافة ملابس القتال القديمة

في فيلم تاريخي ضخم تم إنتاجه مؤخراً في الصين، أثار الزي الذي يرتديه زاو يون الذي كان قائداً شهيراً خلال فترة الممالك الثلاث الكثير من الجدل، وخاصة على الإنترنت؛ حيث قال الكثير من المعلقين إن زيَّ زاو يون جعله يبدو كالساموراي الياباني. ففي الفيلم، وضع زاو يون خوذة مستديرة مع زينة ناتئة في الوسط، كما بدت بذلته الحربية يابانية. وما زال العديد من المصممين ومخرجي الأفلام المعاصرين لا يفهمون الزي الصيني بالكامل، وغالباً ما يدمجون عوامل الأناقة اليابانية وحتى الغربية في ملابسهم؛ مما يؤدي غالباً إلى إثارة الجدل. ولا يعود سبب ذلك إلى قلة المعرفة التاريخية لدى صنّاع الأفلام، وإنما إلى قلة المعلومات حول اللباس الصيني.

تدعى ملابس القتال القديمة «كورسيليت»، وتتكون من خوذة ودرع لحماية رأس الفرس؛ وهي بذلة مهمة للغاية لحماية الجندي في أرض المعركة، ويتم استخدامها لحماية الرأس والجسد. (الصورة 3-1) (الصورة 3-2)

ولم تحظَ ثقافة لباس القتال بالاهتمام الكافي عبر تاريخ الصين، وبالتالي لم يتم حفظ هذا اللباس بشكل لائق. وعلاوة على ذلك، إن سياسة الترويج لفنون مدنية والتقليل من شأن القوة العسكرية ازدادت منذ عهد سلالة سونغ؛ فتلك العوامل تعني أن صور السلاح الصيني القديم أو آثاره والملابس العسكرية قليلة للغاية. أما في اليابان فالتاريخ مختلف؛ إذ لطالما أولى اليابانيون أهمية كبيرة للروابط الأسرية، ويتم اعتبار الأسلحة رمزاً للعرق النبيل لدى عائلات الساموراي، لذا يتم كنز الأسلحة والملابس العسكرية في اليابان. ولهذا السبب، إنها موجودة بكثرة في المتاحف والأضرحة والمجموعات الخاصة. وبالتالي، معظم مجموعات الأسلحة التاريخية والقديمة تأتي من اليابان وأوروبا، في حين أن السلاح الصيني نادر. (الصورة 3-3)

كانت الصين أول دولة آسيوية تستخدم السلاح الذي يقال إنه تم اختراعه قبل حوالي 5000 سنة. ففي ذلك الحين، شارك الإمبراطور الأصفر والإمبراطور يان؛ وهما من أسلاف الشعب الصيني في حروب مستمرة مع قبيلة يقودها تشيو للسيطرة على الأراضي الخصبة في السهل الأوسط. وقد كانت القبيلة بارعة في صنع السلاح، كما أن تشيو مقاتل شجاع وبارع، وقد علّم الناس كيفية إذابة الحديد والفولاذ لصنع السلاح، وكيفية صنع درع بسيط من الخشب والجلد والبامبو ليحتمي به الناس من الحيوانات البرية والأعداء العسكريين. وقد أدى هذا الثوب إلى اشتهار تشيو تاريخياً كسيد للسلاح وكمقاتل عظيم.

وقد كانت أولى الخوذ والدروع القديمة



الصورة 3-1 هذا الأثر الثقافي من عصر الدول المتحاربة عبارة عن خوذة برونزية تم العثور عليها في قلب منغوليا

كانت الخوذة تدعى زو أو دومو في العصور القديمة. وهذه الخوذة بسيطة الشكل مصنوعة من البرونز، وهي دائرية الشكل.



الصورة 3-2 قطعة حجرية من عهد سلالة تشينغ محفوظة في متحف شان تشي التاريخي

تتكون هذه القطعة من رقاقات حجرية رقيقة، كل قطعة منها مقطوعة بشكل مربع، ومصقولة ومرتبة على الحواف، ويبلغ عرضها 5 سم وسماكتها 0.5 سم. وتوجد على أطراف الرقاقات ثقوب صغيرة مستديرة أو مربعة ليكون بالإمكان إدخال سلك نحاسي عبرها ليربط الرقاقات ولصنع درع واقٍ. ويقول الخبراء إن هذه الرقاقات سهلة الكسر، وغير مناسبة لميدان المعركة، وقد تكون نسخة مستخدمة للجنائز.

الصورة 3-3 تم العثور على هذا المقاتل الفخاري الذي يرتدي درعاً في ضريح تشين شي وانغ في لين تونغ في تشيان في مقاطعة شان تشي

يعتبر ضريح تشين شي وانغ في تشيان حيث عُثِر على مقاتلين فخاريين أكبر متحف عسكري قديم في الصين، وقد تم وصفه بأنه أعجوبة الدنيا الثامنة. صُنِعت تماثيل المقاتلين من الطين، ثم طُلِيَت بالصباغ التي بهت لونها بسبب النار والحت حين دُفنت التماثيل تحت الأرض. يرتدي التمثال سواراً، وقد مد يده اليمنى إلى الأمام ممسكاً بسلاحه، وهو يبدو قوياً، ومظهره عسكري.

الصورة 3-4 في الأسفل رجل من الطين يرتدي لباساً حربياً من طبقتين، وهذا التمثال يعود إلى وي وجين والسلالات الجنوبية والشمالية

خلال وي وجين والسلالات الجنوبية والشمالية، كان الجنود يرتدون بشكل عام مينغ وانغ كاي، ويضعون على الحصان جياتشي وجو زوانغ. وجو زوانغ توضع على فرس القتال لحماية الأجزاء الهامة من جسمها كالرأس والرقبة والصدر والبطن والعجز، ويقال إنه بفضل جياتشي وجو زوانغ تمكن شعب تشيان بي من تأسيس عهد سلالة وي الشمالية؛ لأنه مكّن الجنود من السيطرة على السهول الوسطى.



مصنوعة من الجلد، وخاصة من جلد فرس النهر. ويتم أحياناً طلاء الطرف الخارجي من درع الرأس بالألوان؛ لتمييز الجيوش المختلفة في الحرب، كما يتم في أحيان أخرى استخدام ألوان مشرقة لرفع روح الجنود المعنوية وتشجيعهم. ويبدو درع الرأس المصنوع بإتقان مثيراً للإعجاب، ويمكنه تحمل القتال حامي الوطيس، ويظهر الدرع مع العلم كرامة هيبة الكتيبة العسكرية. وفي ما بعد، ومع بدء استخدام المعادن أصبحت الأسلحة مصنوعة من الحديد والفولاذ ومستخدمة في الحروب، وسرعان ما تم



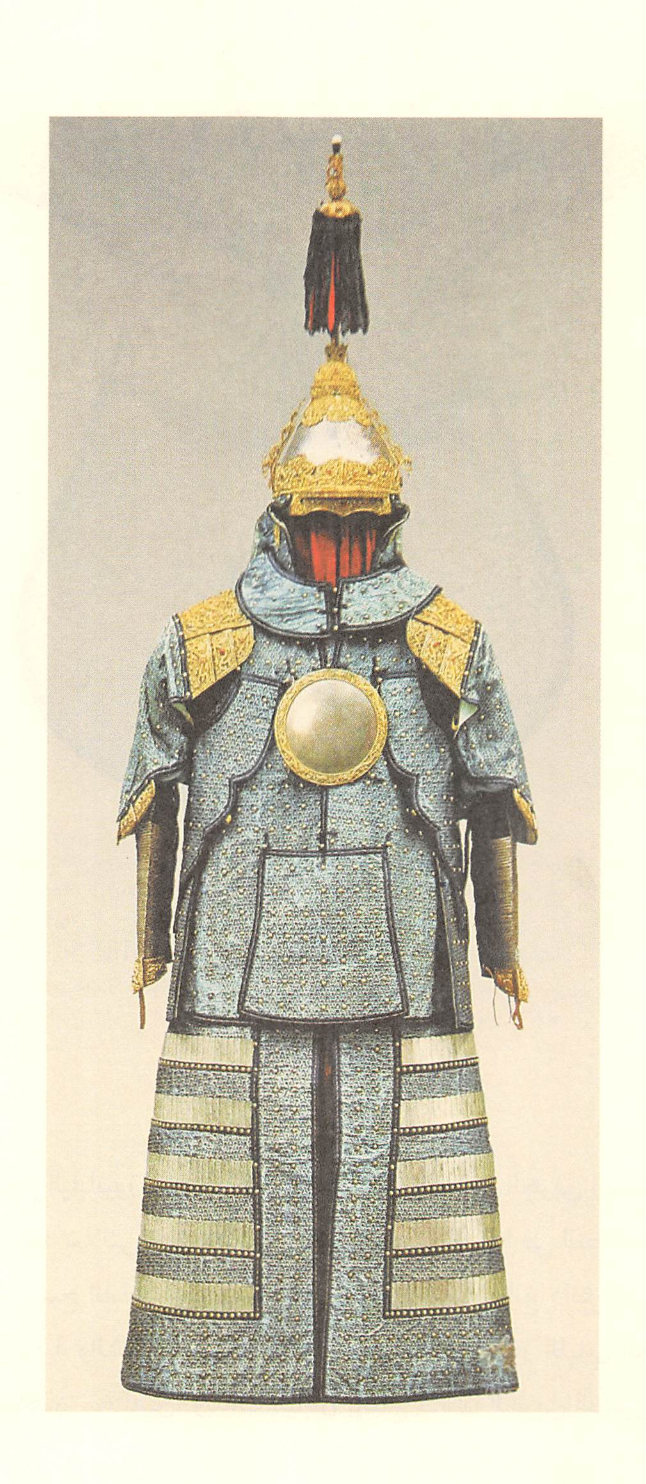
استخدام درع الرأس والخوذة المصنوعة من المعدن عوضاً عن تلك المصنوعة من الجلد.

وفي العصور القديمة، اشتهر ليانغ دانغ كاي الذي تمتع بشعبية عالمية خلال عصر الممالك الثلاث، ومينغ وانغ كاي الذي ظهر لأول مرة خلال عهد سلالتي وي وجين. (الصورة 3-4)

لينغ دانغ كاي صدرة ذات طراز جديد ظهرت لأول مرة خلال عصر الممالك الثلاث. وهي بدون كمين، وتبدو كالمعطف العصري القصير الذي يرتديه الناس في هذه الأيام، ولها لوحان معدنيان من الأمام والخلف، كما أنها موصولة بحبل أو شريط فوق الكتف. ولمنع الصفائح الصلبة من خدش البشرة، يرتدي الجندي قميصاً قطنياً سميكاً يدعى ليانغ دانغ شان تحت الصدرة. وفي ما بعد، اختفى هذا النوع من اللباس الحربي من المجال العسكري، وتبناه الناس العاديون، ثم تطور في ما بعد إلى معطف عصري قصير. كما يتكون مينغ وانغ كاي من صدرتين معدنيتين بيضاوين يتم وضعهما من الأمام والخلف، وحين يتم صقلهما تلمعان في الشمس بقوة، فتعكسان صورة قوة عظمى في ميدان المعركة يمكنها ردع جحافل العدو. (الصورة 3-5) (الصورة 3-6)

الصورة 3-5 قطعة من اللباس الحربي لم يرتدِها سوى الإمبراطور شون زي من سلالة تشينغ

يتكون هذا اللباس الحربي من يي علوي وشانغ سفلي، مع شارة الرتبة العسكرية على خلفية زرقاء. وفيه حواشٍ من الساتان الأزرق، كما يحيط الحرير الأبيض بالنحاس الذهبي ويثبته. وعلى الخوذة الحديدية أشكال محفورة لتنانين بين الغيوم، وأربع حواف ذهبية محفور على كل منها تنين. ويبلغ طول الجزء العلوي 73 سم، أما السفلي فيبلغ طوله 71 سم، في حين ترتفع الخوذة 32 سم ويبلغ عرضها 22 سم. وقد كانت هناك مجموعة متنوعة من المجوهرات الذهبية المزينة بخرزات المرجان وباللؤلؤ. وتوجد لؤلؤة في أعلى الأنبوب الذي يعلو الخوذة، وهناك تنانين ذهبية بين الأزهار، وتنانين بين الغيوم، وأشكال مباركة من الكنوز السبعة محفورة على لوح الكتف، بالإضافة إلى وجود حجارة كريمة على درع الصدر المستدير والمحفورة عليه تنانين بين الغيوم.



الصورة 3-6 لباس عسكري قطني ذهبي اللون، مطرزة عليه أشكال من الأقفال والثعابين، وهو يعود إلى عهد سلالة تشينغ (1821-1911) وموجود في متحف شنغهاي ميتيرز بين وي للأزياء

يتألف هذا اللباس العسكري من قطعتين، قطعة علوية تدعى يي ذات فتحة أمامية من دون ياقة، وذات قطعة لحماية الكتف وما تحتها بالإضافة إلى قطعة مستديرة تحمي وسط الصدر. فضلاً عن شانغ سفلي مصنوع من قطعتين موصولتين، وهناك حماية للركبة بين القطعتين تعود للباس العسكري القطني الذي كان القائد يرتديه في ميدان المعركة.

وقد صمم اليابانيون لباسهم الحربي على طراز اللباس الحربي المستخدم في الصين خلال عهد سلالتي تانغ وهانغ. وخلال عهد سلالة نارا في النصف الأول من القرن الثامن، أصبح اللباس الحربي الياباني مشابهاً تماماً لليانغ دانغ كاي من عهد السلالات الجنوبية والشمالية في الصين. لكن سرعان ما تطوّر اللباس الحربي من الدولتين باتجاهين مختلفين، وبدأت اليابان بإنتاج لباسها الحربي المميز.

وبما أن الصين كانت منطقة جبلية، ونوع المعارك هناك متنقلة بشكل كبير، تم استخدام مواد خفيفة كالقصب والجلد والخيزران مع بعض الحديد لصنع اللباس الحربي. بدا هذا اللباس غريباً، ولكنه قدّم حماية أقل من اللباس الصيني، كما أضاف اليابانيون أقنعة مخيفة وأغطية رأس فخمة للباسهم فأصبح مشابهاً لمينغ وانغ كاي. ويقال إنه خلال معركة قديمة، ساعدت أغطية الرأس وأقنعة الساموراي الياباني على جعل الجنود يبدون كالوحوش والغرباء الهابطين من السماء؛ مما دفع العدو للهرب بدون أي قتال.

أما في أوروبا حيث يوجد تاريخ طويل، وبسبب الانتشار الواسع للفروسية، تم الاحتفاظ باللباس الحربي كعامل يدل على الشخصية القومية؛ إذ كان اللباس الحربي مستخدماً في اليونان وروما وبيزنطة وروسيا، وبعد ذلك بين الفرسان الإنكليز والفرنسيين. وتمتد هذه الثقافة من القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن 19 بعد الميلاد. وقد كان أول لباس عسكري يظهر في أوروبا عبارة عن سلسلة تتكون من حلقات متحركة. وفي العصور الوسطى، ظهر لباس عسكري أبيض كبير من الفولاذ الصلب يحمي الرأس والجذع والأطراف الأربعة، لكن قوته جعلته يحل محل اللباس الحربي الحرشفي تدريجياً؛ فارتفعت قدرة الفرسان في أوروبا على القتال إلى الذروة خلال القرن الخامس عشر. وبعكس اللباس الحربي الصيني، كان اللباس العسكري الذي يرتديه الفرسان الأوروبيون مغطى بشارات عائلية مذهلة مستخدمة كزينة وتعريف.

وعلى الرغم من تعرض اللباس العسكري للعديد من التغيرات عبر التاريخ، إلا أن بعض مميزات اللباس العسكري القديم لا تزال ظاهرة في الخوذات الفولاذية العسكرية والصدرات المضادة للرصاص والخوذات المضادة للصدمات التي يتم ارتداؤها في رياضات السيارات. وقد تطور مظهر اللباس الحربي القديم في ألعاب الحاسوب. (الصورة 3-7)

إن اللباس الحربي الصيني يجسد الحضارة القديمة، إلا أنه بحاجة للمزيد من الاستكشاف والدراسة والإظهار للعالم.



الصورة 3-7 الإمبراطور تشيان لونغ يرتدي لباساً حربياً ويمتطي حصاناً. رسم هذه اللوحة غيو سيب كاستي غليون من سلالة تشينغ

الإمبراطور أيسين غيورو هونغ لي (1711-1799) من سلالة تشينغ هو رابع ابن للإمبراطور يونغ زينغ، ورابع إمبراطور من السلالة. وقد حمل لقب تشيان لونغ حين أصبح إمبراطوراً. وقد ارتدى الإمبراطور هذا الزي المزين بفخامة في احتفالات العروض الكبرى. وعلى الرغم من أنه مصنوع منذ أكثر من 200 سنة، إلا أن لونه لا يزال مشرقاً بفضل حفظه بطريقة ممتازة.

| مجلدات مطولة حول شيني

قبل دورة بكين للألعاب الأولمبية عام 2008، كان هناك جدل واسع حول الثوب الاحتفالي الذي ينبغي على الوفد الصيني ارتداؤه، وقد كسب العديد من الملابس الصينية الدعمَ؛ بما فيها هانفو وبذلة تانغ وبذلة السترة الصينية الطويلة، في حين فضَّل البعض الملابس على الطراز الغربي. وقد كان كل نوع من هذه الألبسة يتمتع بتاريخ طويل وعريق، لكن أيها يمثّل الصين أكثر؟ ناقش الناس هذا الأمر مطوّلاً؛ حيث اقترح البعض من مناصري إحياء الثقافة الصينية تبنّي شيني كثوب احتفالي للدولة المضيفة، وأن ينحنوا للترحيب بالزوار من باقي أنحاء العالم، وقد حظي ذلك الاقتراح بدعم كبير من الخبراء والباحثين داخل البلاد وخارجها؛ إذ ظنّ الجميع أنه لا ينبغي على الصين إظهار العوامل المشتركة بينها وبين العالم، وإنما ينبغي إظهار ملابسها الأنيقة والفريدة. وكان ذلك يتناسب مع فكرة أنه ينبغي على الدولة التي تستضيف الألعاب الأولمبية أن تبذل قصارى جهدها لعرض ثقافتها وعاداتها. وشيني ثوب صيني تقليدي ذو تاريخ طويل، وهو يحمل معاني أخلاقية عميقة، ويعطي تعابير أخلاقية للأفكار الثقافية التقليدية المتمثلة في الشهامة وكون الإنسان جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، ولهذا تم اعتباره أفضل خيار كثوب احتفالي للصين في أولمبياد بكين. وعلى الرغم من مخالفة بعض الناس لهذا الرأي، إلا أنهم جميعهم أقروا أن شيني - كثوب تقليدي - هو أكثر ما يمكن أن يظهر العلاقات الثقافية الصينية.

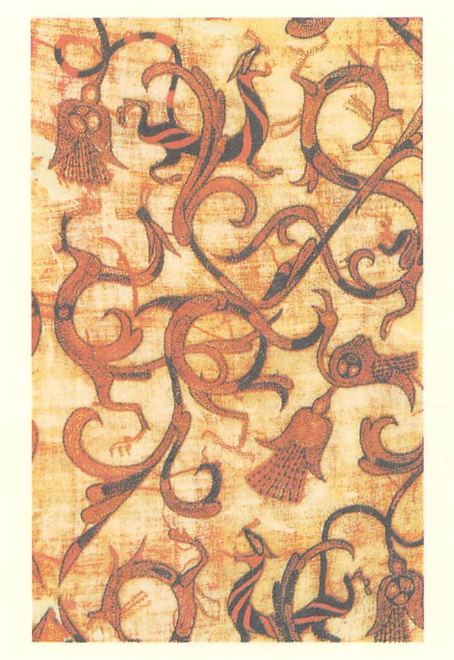
شيني واحد من أقدم الملابس في الصين، حيث ظهر خلال عهد سلالة زو، وارتداه المسؤولون والأمراء الإقطاعيون القدماء، كما ارتداه الناس العاديون في حياتهم اليومية. (الصورة 3-8)





الصورة 3-8 (في الأعلى) لوحة للنساء معروفة باسم لوحة نساء محسنات وحكيمات، وهي لغو كايزي

تصوِّر هذه اللوحة قصة تمت روايتها في سيرة نساء للمؤلف ليو تشيانغ خلال عهد سلالة هان. وهي تمجّد حكمة النساء وفضائلهن، كما أنها نسخة عن عمل أصلي من عهد سلالة سونغ. وبالمقارنة مع لوحة قصيدة غنائية للإلهة في لو، تحمل هذه اللفافة الكثير من طراز غو كايزي؛ إذ إن جميع النساء في اللوحة يرتدين زاجو شوي تشاو فو.



الصورة 3-9 ثوب زين هذا المطرزة عليه صور تنين وعنقاء ونمر تم العثور عليه عام 1982 في الضريح رقم 1 في جبل ماشان في جيانغ لينغ في مقاطعة هوبي، ثم تمّ حفظه في متحف جين غزو الإقليمي

يبلغ طول ثوب زين 192 سم، في حين يبلغ طول كميه 274 سم. ويتكون الشكل الماسي من زهرتين متناظرتين يبلغ طولهما 38 سم، ومطرز عليهما رسم تنين وعنقاء بالخيوط الحريرية الذهبية والبنية. وفي الوسط، يوجد تنينان واقفان وظهر كل منهما للآخر. يعطي الشكل بكامله صورة حية؛ حيث التنين يطير، والعنقاء ترقص، والنمر متعدد الألوان يقفز بينهما؛ مما يعطي انطباعاً بوجود فخامة سحرية.

وقد كتب كونغ يينغدا من عهد سلالة تانغ أنّ «جزءَي شيني متصلان لإخفاء الجسم من الداخل»؛ وهكذا حصل الثوب على اسمه. (الصورة 3-9)

ويجسّد شيني المصنوع من قطعة واحدة الفكرة الفلسفية القديمة؛ وهي أن «الإنسان جزء لا يتجزأ من الكون». حيث يشير الكون إلى الطبيعة، ويشير الإنسان

إلى البشرية، ويرمز ذلك إلى التعايش المنسجم بين الطبيعة والمجتمع البشري، كما يعكس المعتقد الفريد للثقافة الصينية. وبالإضافة إلى ذلك، إن كل جزء من شيني يحمل معنى أخلاقياً عميقاً؛ مما يُمكّن الثوب من التعبير عن روحانية الشعب الصيني. وتظن المدرسة الكونفوشيوسية أنه ينبغي تسمية الكم المستدير بالبوصلة؛ ليرمز إلى أن القانون العلماني الذي يحكم العالم حقيقة دائمة، كما ينبغي تسمية الياقة المستديرة بمربع النجار؛ لإظهار أن القانون الذي يحكم الأرض مستقيم وصريح. وبالتالي، إن الجزءين يمثّلان ممارسات ثابتة. وعموماً، إن الطبقة الحاكمة هي الوحيدة المخولة بوضع القوانين والأنظمة؛ مما يعني أنه ليس بوسع الناس العاديين سوى أن يأملوا أن يتصرف أولئك الموجودون في السلطة وفقاً للمعايير، وعلى شيني توجد درزة تحت الياقة من الجهة الخلفية تتجه من القطعة العلوية إلى أسفل القطعة السفلية، وترمز إلى صلاح مرتديها وصدقه. وحين تتم خياطتهما معاً تمثل القطعتان السفلية والعلوية لشي ني التكامل بين الين واليانغ. والأكثر من ذلك، إن الثوب العلوي مصنوع من أربع قطع قماشية ترمز إلى الفصول الأربعة، في حين أن الثوب السفلي أُحدِث فيه 12 ثلماً للدلالة على أشهر السنة الاثني عشر. و«الأدوات الخمس» من التقاليد القديمة: البوصلة والمربع والحبل والميزان والمثقال موجودة على شيني؛ على أمل أن يكون مرتديه غير متحيز وشريفاً ومسالماً ومتحضراً. مما يعني أن شيني ثوب يقدم كامل معاني الثقافة الصينية وروحها القومية التي تجسد الفضائل الشرقية لكون الرجل جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، بالإضافة إلى الشهامة والعدل والكرامة والشمول.

ومن أبرز مزايا تشو جو شيني - أي المثال الرئيس لشيني - هو تشو رين غوبيان. حيث يشير رين إلى طية صدر السترة، في حين يشير تشو رين إلى اتساعها، ويشير غوبيان إلى طراز طية صدر السترة وشكلها وتدعى تشو جو. (الصورة 3-10)



وعلى وجه التحديد، يتم قص شكل مثلث من طية صدر السترة اليسرى، ويُطوى إلى الخلف ويُربط إلى الخصر لتصبح الحاشية السفلية معقوفة. وقد تطور هذا الطراز لأن النسخة الأولى من السروال كانت الساقان فيها متصلتين. كما كان طراز اللباس الداخلي بحاجة لتطوير؛ إذ لا يمكن إخفاء الجسم البشري إلا بثني الطية عدة مرات، كما أن الجسم يبدو متوازناً وأنيقاً. وقد كان تشو جو مصنوعاً عموماً من قطع الخيش والقطن الأبيض، ومزيناً عند الحاشية بالبروكار. وكانت الحاشية مزينة بأزهار مطرزة عليها، وتلف الجسم وتغطيه بتشو جو لزيادة السحر الجمالي للطية. (الصورة 3-11)

زاجو شوي شاو فو من أنواع شيني؛ وهو ثوب نسائي مع مزايا خاصة، وقد انتشر في عهد سلالات الشمال والجنوب وجين ووي. كان هذا الطراز مختلفاً عن شيني التقليدي؛ حيث توجد عليه زينة تدعى شيان شاو، ويُظهِر التناغم الجميل بين الطبيعة والحركة، ويجعل مرتديه يبدو أنيقاً ومرتباً.

ولكونه يجسد الثقافة الصينية، أثّر شيني بقوة في الدول المجاورة؛ إذ إن



الصورة 3-10 قطعة فخارية على شكل امرأة ترتدي تشو جو شيني. وقد تم العثور عليها في ضريح من عهد سلالة هان في جبل تونغ شان في تشو زو في مقاطعة جيانغ سو

أبرز مزايا شيني هي تشو رين غوبيان، حيث يشير رين إلى طية صدر السترة، في حين يشير تشو رين إلى اتساعها، ويشير غوبيان إلى طراز طية صدر السترة وشكلها. ويخفي ارتداء مثل هذا النوع من اللباس الجسم، ويسمح لمرتديه بأن يوافق العادات والطقوس.

الكيمينو الياباني تقليد لشيني. وحتى الآن، يدعو اليابانيون الكيمينو ووفو؛ في إشارة إلى منطقة وو في الصين القديمة التي جاء منها شيني. وعبر السنوات الطويلة، تطوَّرت مزايا الكيمينو وأصبح مختلفاً عن شيني الصيني القديم الذي كان بسيطاً بتصميمه من الجانب العلوي ومعقداً من الجانب السفلي، وله كمان مستديران وياقة مربعة. أما خطوط الكيمينو فجميعها مستقيمة، وكمّاه مربعان، وحزامه عريض.



الصورة 3-11 قطعة فخارية على شكل امرأة ترتدي تشو جو شي ني خلال عهد سلالة هان

كان شيني طرازاً شائعاً من الملابس خلال عهد سلالة هان، حيث ترتديه النساء وكذلك الرجال. وهو مفصَّل ليكون ضيقاً، وقد يصل إلى الأرض، وحاشيته السفلية تكون غالباً على شكل بوق لإخفاء القدمين، أما الكمان فقد يكونان ضيقين أو واسعين مع حواشٍ مزينة في الأسفل. وهناك ياقة متصالبة تظهر اللباس الداخلي؛ مما أسهم في حصول شيني على اسم آخر وهو «الملابس ذات الطبقات الثلاث».



| الماضي والأسلوب الأنيق لباو فو

باو فو واحدٌ من أنواع الملابس الأساسية في الصين القديمة، وهو ثوب حمل الكثير من المعاني، واحتل مكان شيني خلال فترة ما قبل تشين، وأصبح من أكثر الملابس انتشاراً في التاريخ الطويل للملابس الصينية. وقد كان بسيطاً وعملياً وأنيقاً ومختلفاً عن ملابس زين المصنوعة من مواد خفيفة وقمصان واسعة الأكمام وغوازي مريحة؛ حيث إن باو فو التقليدي مصنوع من مواد جامدة ومنسوجة بإحكام ومزينة بترف. وقد تم اتباع قواعد صارمة في التصميم؛ مما جعل مرتديه يبدو حازماً ومهيباً، وهو أمر يناسب المسؤولين القدماء والنبلاء والمثقفين. وبالتالي، ظل باو فو ولعدة قرون ثوباً صينياً مفضلاً. (الصورة 3-12)

وخلال عهد سلالتي تشين وهان، كان لباو فو شكل أساسي؛ أي ياقة متقاطعة أو على شكل الحرف V، وكمان عريضان على شكل قوسين دائريتين يدعيان مي، وهناك شرائط تزيينية على الياقة والكمين. وبعد انتشاره مباشرة، تم ارتداؤه كلباس داخلي، ثم تطور أكثر وصار يُلبَس كزي خارجي، إلى أن تم تحويله إلى نوع من

الصورة 3-12 تفاصيل من رسم لنساء بريشة غو كايزي، وتظهر امرأة نبيلة ترتدي جوان ليانغ غوان وباو فو (في وسط الصورة)

يفضّل الباحثون في عهد السلالات الشمالية والجنوبية وجين ووي الجسم النحيل وفقاً للطراز البوذي «للجمال والأناقة». وهم يرتدون ملابس فضفاضة تناسب الجمال الطبيعي؛ فحين تهب الريح سيبدون كما لو أنهم يطوفون كغيمة، ويتصرفون بنشاط كتنين.





الصورة 3-13 ثوب مطرزة عليه رسوم الثعابين من منطقة الإمبراطور زينغ دي في عهد سلالة مينغ. تم العثور عليه عام 1961 في ضريح تشيا رو، في وي زي كينغ في نان يوان في بكين، وهو محفوظ حالياً في متحف العاصمة

يبلغ طول هذا الثوب ذي الفتحة المائلة 141 سم، في حين يبلغ طول كمّيه 266 سم، ومحيطه 120 سم. وهو مزين بصور الثعابين من الأمام والخلف. رأس الثعبان مطرز في الجزء الأساسي في الأمام، فيما طُرِّز ثعبانان يبلغ طول كل منهما 53 سم وعرض كل منهما 14 سم على الكمين. أما حاشية الثوب فمقسمة إلى ثلاثة أقسام في المقدمة والخلف والجانب السفلي.

الأثواب الاحتفالية. وقد كان هناك نوعان من باو فو خلال عهد سلالة هان: تشو جو، وزي جو، وكلاهما انتشرا في وقتين مختلفين. فقبل عهد سلالة هان الغربية وخلاله، انتشر تشو جو باو فو الذي كان مشابهاً لشيني؛ باستثناء كونه أقصر. أما زي جو باو فو فانتشر خلال عهد سلالة هان الشرقية. وتماماً كما حل السروال مع منفرج مكان الثوب بدون سروال حل زي جو باو فو محل تشو جو باو فو كأشهر طراز. وخلال عهد سلالتي سوي وتانغ، كان الرجال يرتدون باو فو كزيّ رسمي. وقد كان اللباس التقليدي في ذلك الوقت يشمل فوتو وباو فو بياقة مستديرة، مع حزام يدعى ديكسي ويربط حول الخصر، وزوج من الأحذية الجلدية. ومن أبرز التغيرات التي طرأت على باو فو من النسخة التي ترجع إلى عهد سلالتي هان وتشين، تغييرُ



الياقة المتقاطعة إلى ياقة مستديرة مع فتحة صغيرة نسبياً، وجعل الكمين أضيق، وتضييق الثوب أكثر على الجسم. وقد كان هناك تنوع أكبر لباو فو في عهد سلالة سونغ، حيث أصبحت الياقة مستقيمة، والأزرار من الأمام. وفي عهد سلالة مينغ، اتبع باو فو طراز نسخة عهد سلالة سونغ. لكن تطوره وصل إلى الذروة في عهد سلالة تشينغ، حيث كان الرجال يرتدون أثواباً طويلة في حين ترتدي النساء تشونغ سام؛ وهو نوع آخر من باو فو. (الصورة 3-13) (الصورة 3-14)

ومنذ تطوره إلى ثوب احتفالي تمتّع باو فو بمكانة لا نظير لها، حيث ارتدى الجميع باو فو؛ بدءاً بالملك فالمسؤولين ووصولاً إلى الناس العاديين. (الصورة 3-15)



الصورة 3-14 الإمبراطورة دواغر (1835-1908) وتدعى أيضاً «بوذا الكبير». وهي فرد من عائلة نالا، وقد عاش أسلافها في يي هي، وهم بالتالي يدعون يي هي نالا. وهي من تشيان لان، وقد كانت خليلة الإمبراطور تشيان فينغ من سلالة تشين في عهد سلالة تشينغ، بالإضافة إلى كونها الحاكم الرئيس خلال عهد الإمبراطور تونغ زي والإمبراطور غوانغ تشو

تظهر الإمبراطورة دواغر في الصورة مرتدية تشونغ سام، وحاملة مروحة مطوية بإحدى يديها.



الصورة 3-15 تفاصيل قصيدة غنائية للإلهة، وهي مرسومة على الحرير، وغنية بالألوان. يبلغ قياسها 27.1 سم و572.8 سم، وهي نسخة عن رسم من عهد سلالة سونغ لغو كايزي خلال عهد سلالة جين الشرقية، كما أنها محفوظة في متحف القصر في بكين

يظهر الرسم تشاو زي ورفاقه بجانب نهر لو. ومن بينهم مسؤولون مدنيون يرتدون ليانغ غوان وقمصاناً. ويبدو في الصورة كما لو أن الشخص بإمكانه الطيران إلى الغيوم أو المشي على الماء، في حين أن الملابس الكبيرة والأحزمة العريضة جعلت مرتديها يبدو قادراً على الإبحار بقارب في الجو.

يدعى باو فو الذي يرتديه الإمبراطور الثوب الإمبراطوري، وهو ذو لو أصفر مشرق. ومنذ عام 960 ميلادي، حين أطلق الإمبراطور زاو كانغ يين من سلالة سونغ التمرد، ألبسه مؤيدوه بعد ذلك ثوباً إمبراطورياً أصفر اللون. وقد كان الثوب





الصورة 3-16 رسم للإمبراطور كانغ تشي من عهد سلالة تشينغ في ثوب الحكم

حصل أيسين غيورو تشوا نيي (1654-1722) على لقبه الإمبراطوري كانغ تشي - وهو الابن الثالث للإمبراطور شون زي والإمبراطور الثاني - بعد دخول حكام سلالة تشينغ معبر شان هاي للسيطرة على الصين. الثياب التي يرتديها الإمبراطور خلال عهد سلالة تشينغ مقسمة إلى صنفين: ملابس عادية وملابس احتفالية، وثوب البلاط هو النوع الاحتفالي الرئيس.

يضع الإمبراطور تاجاً صيفياً مزيناً باللآلئ الثمينة، ويرتدي ثوباً صيفياً أصفر اللون مشرقاً مع اثني عشر شكلاً من الزينة، وقد طُرِّزت عليه رسوم التنانين الذهبية بين الغيوم الملونة، كما يضع قلادة من اللؤلؤ وحزاماً أصفر مشرقاً، وينتعل حذاء حريرياً أزرق ذا نعل سميك. ويتميز عرشه بطلاء ذهبي، وقد نُقِش عليه شكل تنين.

الإمبراطوري يدعى الثوب الأصفر؛ إذ توجد عليه أشكال زينة مطرزة تختلف من سلالة إلى أخرى. كان الثوب الذي يرتديه الإمبراطور من سلالة تشينغ ذا ياقة مستديرة، وكمّين ضيّقين. أما الجزء المتداخل من الثوب العلوي والأزرار الأمامية فقد تم نقلها إلى اليمين. وعلى الجزء السفلي من الثوب توجد أشكال الزينة الاثنا عشر، أشكال الخفافيش والغيوم الملونة، والماء الذي يرمز إلى وحدة الأمة. وقد تم تزيين الكمين والجزء المتقاطع من القطعة الأمامية بصور تنانين، في حين أن الحاشية مصنوعة من الحرير الذهبي، ومطرزة على الياقة والكمين. (الصورة 3-16)

(الصورة 3-17)



الصورة 3-17 رسم للملكة شياو زي في ثوب البلاط، وهي زوجة الإمبراطور تونغ زي (1854-1873)

ترتدي الملكة ثوب بلاط، وتضع إكليلاً على شكل طائر العنقاء، وتبدو جادة الملامح ومهيبة. ويختلف ثوبها عن ثوب الإمبراطور؛ فهناك زينة لحواشيه على الكتف، مع ياقة مائلة وكمين أزرقي اللون وأشكال تنانين مختلفة، ولكن لا توجد أشكال الزينة الاثني عشر.

خلال عهد سلالة هان الشرقية تم اختيار باو فو كثوب رسمي، ومنذ ذلك الحين أصبح يرمز للسلطة والمكانة في المجتمع القديم. وكانت هناك صور طيور وحيوانات أخرى مطرزة على باو فو الذي يرتديه المسؤولون العسكريون والمدنيون خلال حكم الإمبراطورة وو زيتيان في عهد سلالة تانغ؛ للإشارة إلى مراتب المسؤولين المختلفة؛ وهذا هو مصدر بو فو. وقد كانت هناك قوانين صارمة في ما يتعلق بزينة بو فو وشريطه وحزامه في عهد سلالة سونغ. أما حجم الصورة على الثوب الرسمي فيعكس الرتبة الرسمية في عهد سلالة يوان. وخلال عهد هونغ وو حين ظهر نظام بوزي، كان الثوب الرسمي يدعى ثوب الثور المحارب أو



السمكة الطائرة أو الأفعى؛ وذلك حسب المكانة الاجتماعية لمن يرتدي الثوب. وقد كان كمّا الثوب الرسمي خلال عهد سلالة تشينغ على شكل حافر حصان، ولحاشيته السفلية أربعة شقوق. ويدعى الثوب الذي يرتديه المسؤول المسافر تشينغ باو، وهو أقصر من الطرف الأمامي الأيمن؛ وذلك لجعل ركوب الخيل أكثر سهولة. أما ثوب الأفعى المزين ببذخ فهو ثوب مبارك بالنسبة للمسؤولين. (الصورة 3-18)



الصورة 3-18 ثوب رسمي مطرز برسوم الثعابين

يدعى الثوب هواي بسبب صور الثعابين المطرزة عليه. وقد ارتداه النبلاء كالإمبراطور والمسؤولين كثوب احتفالي. إن ارتداء هذا الثوب أعلى مثال للبيروقراطية؛ إذ يعني أن مرتديه قد وصل إلى أعلى المراتب. وفي عهد سلالة مينغ، لم يكن من الممكن ارتداء هذا الثوب إلا من قبل المسؤولين رفيعي المستوى، ولم يعد ذلك مسموحاً للناس الآخرين، إلى أن صدر قرار بالسماح بارتدائه وإنما مع اختلافات في لون الثعابين وعددها.

وبالإضافة إلى كون باو فو مهيباً، فهو يحمل معاني ثقافية هامة. فإلى جانب البوزي المطرز في الجهة الأمامية والخلفية لباو فو، هناك خطوط مائلة على الحاشية السفلية للثوب الإمبراطوري، وقد طُرِّزت على الثوب أشكال الماء والصخور الجبلية التي تحوي كنوزاً نادرة. وتدعى تلك الأشكال «أسنان النهر، وماء البحر». وماء البحر مصنف إلى ماء عمودي وماء مسطح. توجد خطوط من النسيج القطني على الحاشية السفلية لباو فو وتدعى «الماء العمودي»، فيما تدعى الأمواج المتصاعدة تحت أسنان النهر «الماء المسطح». ويمكن أيضاً اعتبار مياه البحر



مساوية لمياه الجزر، وبما أن لفظ «الجزر» باللغة الصينية مماثل للفظ «سلالة»، لم يعد مسموحاً وضع أشكال مياه البحر إلا على الأثواب الرسمية. (الصورة 3-19)

لم يكن باو فو محصوراً بالصين القديمة فقط، وإنما كان الرومان واليونانيون القدماء يرتدونه كرمز للصحة والمكانة. ولم يكن أحد يرتدي الثوب الفضفاض باستثناء المواطنين الرومان. وكلما كانت المكانة الاجتماعية لمرتديه أعلى كان الثوب أكبر وأثقل؛ إذ يبلغ طول بعض الأثواب ستة أمتار، في حين أن العبيد لا يستطيعون سوى تغطية أجسادهم بقطع صغيرة من القماش، أو يتم إجبارهم على البقاء عراة. وبعد عام 395 بعد الميلاد، حين تم تقسيم روما إلى روما الشرقية وروما الغربية، تم استبدال باو فو في المدينة الغربية التي يحكمها الشعب الجرماني من شمال أوروبا، وحلّ محله ثوب علوي وآخر سفلي أصبح في ما بعد ثوباً واحداً تطور بشكل مختلف تماماً عن تطور باو فو الصيني.





الصورة 19-3 ثوب من الساتان باللون الأصفر المشرق

يرتدي إمبراطور سلالة تشينغ هذا الثوب كثوب صيفي. وطرازه مماثل لطراز ثوب البلاط الشتوي، غير أن اللون مختلف. ويمكن أن يكون الثوب ملوّناً بالأصفر المشرق والأزرق والأبيض المائل إلى الزرقة. والثوب الظاهر في الصورة ذو لون أصفر مشرق، وحاشية سوداء مطرزة. إن أشكال التنانين الطائرة مطرزة على الثوب بكامله، بالإضافة إلى الخفافيش المباركة والغيوم وغيرها. كما طُرِّزت على الحاشية السفلية أشكال «مياه النهر وأسنان البحر» التي تحمل حظاً عظيماً وبركة لا حدود لها.





| الحديث عن دوبي كان... سروال قصير من العصور القديمة

قد تبدو كلمة «دوبي كان» غريبة في البداية، وقد يتساءل الناس إن كانت لها علاقة بأنف الثور. دوبي كان نوع من السراويل القصيرة في العصور القديمة. وبما أن هذا النوع من السراويل القصيرة كان واسعاً من الأعلى وضيقاً من الأسفل وله فتحتان للساقين، كان شبيهاً بأنف الثور، ومن هنا اكتسب اسمه. (الصورة 3-20)

أفضل دوبي كان في التاريخ هو الذي ارتداه سيما شيان غرو الباحث الشهير من سلالة هان الغربية. ويقال إن دوبي كان لعب دوراً محورياً في ترتيب زواج سيما شيان غرو وزو وين جون؛ كما هي الحال في أي زواج بين شخصين أحدهما جميل والآخر مثقف. فقد كان سيما شيان غرو متسكعاً، وعلى الرغم من تمتعه بالموهبة إلا أنه لم يتمكن من استغلالها، وأمضى وقته بالتسكع. في حين أن والد زو وين جون كان ثرياً بسبب عمله في صناعة المعادن؛ إذ لم يكن هناك منافس للعائلة في الثراء والمكانة الاجتماعية في منطقة شو الغربية، كما أن زو وين جون لم تكن شابة جميلة فحسب وإنما كانت ذكية ونبيهة ومعروفة في المنطقة بأكملها أيضاً. وفي أحد الأيام، كان سيما شيان غرو مدعواً إلى مأدبة أقامها والد زو لأقاربه وأصدقائه، فانتهز الفرصة وأفرط في احتساء الشراب وتناول الطعام، ثم عزف لحناً يدعى «أين عروسي» وهو ثمل؛ مما جذب زو وين جون التي كانت معجبة به منذ وقت طويل، فاستقبلته في منزلها بمفردها عدة مرات. وهكذا، وقعت زو وين جون في حبه، كما كان سيما شيان غرو معجباً بها، وحين التقيا انسجما بسرعة، وبدا كما لو أنهما مخلوقان لبعضهما. ولكن، بسبب الهوة الكبيرة بين الفقير والغنية؛ أي «الزواج بين عائلتين من مرتبتين اجتماعيتين غير متساويتين»، لم يوافق والد زو وين جون على زواج ابنته من الشاب الفقير. وحين لم يعد أمامهما أي بدائل، هرب الشابان وبدآ حياتهما معاً من الصفر؛ حيث افتتحا حانة ليعيشا منها بعد الزواج، وتحولت زو وين جون التي كانت معتادة على رغد العيش إلى امرأة ترتدي ملابس خشنة وتبيع المشروبات الكحولية، في حين أن سيما شيان غرو الذي كان معتاداً على ارتداء دوبي كان أصبح يغسل أواني الشراب



الصورة 3-20 سروال مطرز من عهد سلالة سونغ الجنوبية. تم العثور عليه في ضريح هوانغ شينغ في فو زو، ويبلغ طوله 87 سم وعرضه 11.7 سم عند الخصر، في حين يبلغ عمق السرج 36 سم، وعرض الساقين 28 سم، وعرض القدم 27 سم

السروال مصنوع من قماش هوا لو المطرز بأشكال نباتات مزهرة ومباركة كانت شائعة خلال عهد سلالتي تانغ وسونغ. وتتمتع هذه الأشكال بجمال سماوي، وتعتبر رمزاً للنبل.



الصورة 3-21 سروال للنساء من منتصف القرن التاسع عشر، طُرّزت على حريره الداكن أزهار ملونة وطيور وغيوم حمراء

كانت السراويل شائعة بين نساء المانشو خلال عهد سلالة تشينغ؛ إذ كانت عملية وتؤمن الحماية من البرد القارس. ولم تكن السراويل قطعة كاملة، وإنما كانت مؤلفة من ساقين موصولتين من الأعلى بحزام، ويتم ارتداؤها فوق سروال آخر وتثبيتها عند الخصر. كما أن النساء في عهد سلالة تشينغ كن يرتدين غالباً باو فو يصل إلى الركبتين ويبدو تحته سروال مطرز بألوان مشرقة.

ويعمل في الحانة. وحين سمع والد زو وين جون أن ابنته تظهر في كل مكان، وأن صهره يعمل في حانة وهو لا يرتدي سوى سروال قصير أصيب بإحراج شديد، ولم يعد أمامه أي خيار سوى الاعتراف بزواجهما. لذا، يقال إن دوبي كان هو الذي ساعد في إخماد النار وإتمام مهمة الزواج المستحيلة. ومنذ ذلك الحين، ذاع صيت دوبي كان الذي ارتداه سيما شيان غرو. (الصورة 3-21)

وإلى جانب دوبي كان، كانت هناك أنواع أخرى من السراويل في العصور القديمة. أول نسخة منها يدعى كو، وقد ظهر لأول مرة خلال الربيع والخريف، وتم توثيقه في «أصل الأشياء الصينية». وهذا السروال لا يتكون سوى من ساقين، وهو بدون منفرج في المقدمة أو الخلف، ولا يصل سوى إلى الركبة. وحينها، كانت الساق السفلية تدعى جينغ، لذا كانوا يدعون كو باسم جينغ يي. هذا السروال



الصورة 3-22 هذا المجسم من عهد سلالة تانغ الوسطى، وهو يخص فارساً. إنه مصنوع من الفخار بثلاثة ألوان، وعُثِر عليه في مقاطعة غونغ في إقليم هينان.

منذ أن حاول الإمبراطور وو لينغ من زاو أن يتعلم من الشعوب الأخرى، أصبحت السراويل ذات المنفرج التي تدعى كون شائعة في السهول الوسطى. في البداية لم يرتدِها سوى الجنود، لكن عامة الناس بدأوا بارتدائها في ما بعد. وفي عهد سلالة تانغ، ومع الجو الاجتماعي المفتوح، انتشر هو فو واكتسب شعب هو شعبية بين القبائل الهمجية الشمالية. وهذا التمثال في الصورة يرتدي فو تو، وهو ثوب ذو ياقة مستديرة وكمين ضيقين مغطيين بقميص ذي ياقة مقلوبة وكمين قصيرين، كما يرتدي سروالاً وينتعل حذاء طويلاً.

يحمي الركبتين وأسفل الساقين، وهو مفيد وخاصة في الشتاء. وقد كان كو وشانغ ثوبي هان تقليديين. ففي الشمال، يرتدي شعب نومادي سراويل طويلة تدعى داكو، وهي مناسبة للفروسية. وخلال فترة الدول المتحاربة، حاول الإمبراطور وو لينغ من زاو أن يتعلم من الشعوب الأخرى، وشجع على ارتداء داكو الذي انتشر في السهول الوسطى. في البداية، لم يرتدِه سوى الجنود، ثم اكتسب شعبية بين عامة الناس. (الصورة 3-22)

كما يدعى غان دانغ كو «سروال الفقراء»، وله منفرج، لكنه لم يظهر حتى عهد سلالة هان الغربية. ووفقاً للسجلات التاريخية خلال حكم الإمبراطور زاو من سلالة هان، أراد هو غانغ وهو قائد عظيم أن يضمن أن تلد حفيدته الإمبراطورة شانغ غان أميراً صغيراً لتعزيز مكانة العائلة، فاتفق مع الطبيب الإمبراطوري والمخصي الذي يخدم الإمبراطور باسم «العناية بالصحة الملكية»، وأمر الخادمات والوصيفات بارتداء سراويل الفقراء لمنع الإمبراطور من إقامة أية علاقة حميمة مع أية امرأة أخرى. (الصورة 3-23) (الصورة 3-24)



الصورة 3-23 سروال مفتوح للنساء مطرز بغيوم خضراء، يبلغ طوله 55 سم وعرض الخصر 64 سم

هذا السروال مصنوع من هوالو الداكن، ومطرز بالغيوم. أما رباط الخصر القطني الأبيض فيمثل الزواج المستمر مدى الحياة، وهناك ثنيات على كلا الجانبين وفي الخلف، كما أن الحواف ناتئة عند المنفرج وبالقرب من أسفل السروال، مما ساعد في جعل السروال متماسكاً ومتيناً.



الصورة 3-24 سروال بمنفرج كامل مطرز بأزهار حمراء كبيرة، وهو يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين

خلال أواخر عهد سلالة تشينغ، كانت النساء عادة يرتدين سراويل بمنفرج كامل تحت أثوابهن، وغالباً ما تكون ساقا السروال مشدودتين. وحين يتم ارتداؤه مع حذاء ربط القدم فهو يغطي القدم بكاملها؛ مما جعله مناسباً للعمل، كما أنه يمنع الهواء البارد من الوصول إلى الساقين. وفي أواخر عهد سلالة تشينغ على وجه الخصوص، كانت النساء يرتدين لباساً علوياً أقصر وسروالاً أضيق مع منفرج كامل، ثم تطور إلى سروال يتم ارتداؤه من الخارج. وكانت تلك الثياب مطرزة بشكل غريب، ومصنوعة من مواد عالية الجودة.



الصورة 3-25 سروال مصنوع من الساتان الأزرق، ومطرزة عليه براعم البرقوق والخيزران والأقحوان، ويعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، ويبلغ طوله 94 سم، وعرض خصره 104 سم، في حين يبلغ عمق المنفرج 22 سم وعرض القدم 30 سم

رباط الخصر في هذه السراويل الحريرية مصنوع من القطن. وعلى الساقين يوجد تطريز أزهار حمراء على خلفية رمادية اللون.



الصورة 3-26 سروال حريري للنساء في بداية القرن العشرين

أصبح باو فو الذي ترتديه النساء أقصر في نهاية عهد سلالة تشينغ وبداية جمهورية الصين. ولجعل هذه السراويل مناسبة أكثر، تمت إطالة ساقي السروال. وفي الخريف والشتاء، يتم ارتداء سروال قطني مبطن للوقاية من البرد. وقد كان لهذا السروال رباط خصر، في حين أن باقي السروال مصنوع من الحرير الأزرق المطرز بالأزهار على خلفية رمادية فضية مع خطوط حريرية.

وعلى نحو تدريجي أصبحت سراويل الفقراء شائعة بين الناس العاديين. واليوم، تطورت السراويل بالكامل، وأصبحت تلبس بكثرة لكونها مريحة وعملية ومناسبة. (الصورة 3-25) (الصورة 3-26)

وفي بلاد ومناطق أخرى، يؤدي السروال وظائف أخرى في الفترات المختلفة؛ إذ ارتدى المصريون مئزراً لتغطية أجسامهم، في حين لم يظهر السروال بين الرومان واليونان. ومع انتقال الشعوب الجرمانية جنوباً، ظهر نوع من السراويل بدا كالملابس الداخلية للرجال، وكان مشابهاً تماماً لجينغ يي في الصين القديمة. وبعد منتصف القرن الرابع عشر، ومع تراجع قوة الكنيسة المسيحية، أصبح الغربيون أكثر ميلاً لإظهار أجسادهم، وأصبحت سراويلهم أقصر وأقصر، حتى أصبحت كلباس قصير يتم ارتداؤه تحت الملابس، ويبدو كدوبي كان في الصين. وفي ما بعد، ظهرت

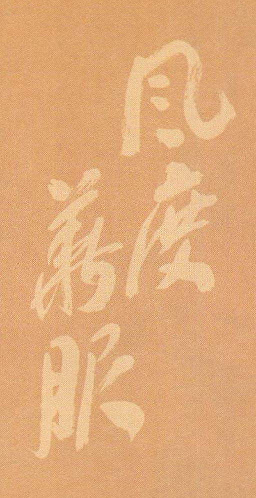
الجوارب. وقد بقيت شائعة لما يقارب 400 عام حتى ظهور الرأسمالية؛ حيث ظهر البنطلون، وهو سروال طويل. ومع النظام الاشتراكي الإقطاعي، بدأ العالم المترف للطبقة الأوروبية النبيلة بالاختفاء في أواخر القرن الثامن عشر، ثم بدأت البراغماتية بالهيمنة على عالم الأزياء. وقد فضّلت الطبقة الرأسمالية المزدهرة الملابس البسيطة والجليلة، وحلّ السروال الطويل محل مجموعة الجوارب والسراويل القصيرة المثيرة للملل.



الصورة 3-27 ملابس و«إكسسوارات» ترتديها النساء خلال عهد سلالة تشينغ

بعد عهد شيان لونغ وجيا تشينغ، صارت النساء يرتدين ملابس علوية ذات فتحة جانبية، وسراويل بساقين مستقيمتين كزي يومي. وكانت ساق السروال العريضة مصنوعة من مواد عالية الجودة، ومزينة بإتقان بألوان وأشكال زينة تتناسب مع تلك الموجودة في الثوب العلوي. ويمكن للساقين العريضتين إخفاء قدمي النيلوفر، وجعل مرتدي السروال يبدو أنيقاً.

وقد كان الذوق الجمالي لدى الشعب الصيني يعكس الحالة الروحية؛ من خلال ملابسهم وليس أجسادهم. مما يعني أن السراويل الصينية كانت تُقصّ بخطوط مستقيمة لإظهار أناقة مرتديها. أما في الغرب حيث ينال الجسد الرشيق والقوي الاستحسان، فكانت السراويل الغربية تُقصّ بخطوط معقوفة لعكس خطوط الساقين. لم يتم ارتداء السراويل القصيرة في الصين كلباس خارجي. ولحماية مصالحهم، كان أعضاء الطبقة الراقية يرتدون ملابس واسعة ذات أكمام عريضة كدلالة على مكانتهم الاجتماعية. وكان الغربيون يرتدون السراويل كملابس داخلية، غير أنه في منتصف القرن 14 بدأ المجتمع بتقبل ارتداء السراويل كلباس خارجي، وقد أحب الغربيون السراويل لأنها تساعدهم في إظهار سحرهم الذكوري، ولطالما كانوا يصنعون السراويل بإتقان. (الصورة 3-27)



الملبوسات والإكسسوارات الصينية

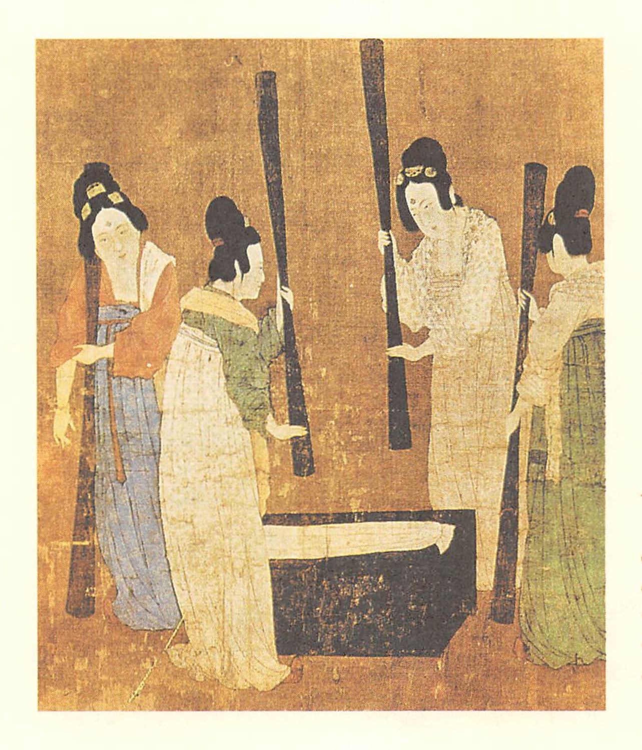
الفصل الرابع

الريش الملون: الأثواب من العصور القديمة وحتى العالم المعاصر

| ثوب عريض ناعم ومتألق كالماء في نهر شيانغ

ارتدى القدماء الأثواب لوقت أطول من الوقت الذي ارتدوا فيه السراويل، وقد كانت الفساتين متنوعة للغاية؛ إذ ارتدى الناس البدائيون تنانير من أوراق الأشجار وجلود الحيوانات، ثم ارتدى المصريون القدماء تنانير ضيقة من الكتان، في حين ارتدى شعب كريت تنانير على شكل جرس، وارتدى اليونانيون القدماء تنانير مثنية، أما الآريون فارتدوا تنانير صوفية سومرية وساري. وتتمتع الأثواب في الصين بتاريخ طويل، إذ تعود إلى عهد الإمبراطور الأصفر في القرن 27 قبل الميلاد. وقد كان شي ني من عهد سلالة زو الشرقية شكلاً مبكراً من الأثواب العصرية من قطعة واحدة. وبعد سلالتي هان، بدأ المزيد من الناس بارتداء أثواب بأشكال متنوعة شملت ثوباً ذا سترة علوية وتنورة يدعى رو تشون. ومنذ عهد سلالتي سوي وتانغ أصبحت أشكال الأثواب أكثر غنى، أما في عهد سلالة سونغ فتطورت الأشكال وأصبحت أكثر أناقة تحت تأثير الكونفوشيوسية الحديثة. وفي ذلك الحين، تم إدخال شريط الزينة يو هوان لتضييق الثوب. وفي عهد سلالتي مينغ وتشينغ أصبحت الأثواب أعرض ومزينة أكثر، وتم بعدها تصميم أثواب أكثر تنوعاً بفضل التواصل الدولي المتزايد في العالم المعاصر.

وعلى الرغم من وجود يي العلوي وشانغ السفلي اللذين يرتديهما الرجال والنساء، فضّل الرجال تسمية ما يرتدونه «شانغ» لتمييزه عن الأثواب التي ترتديها النساء. وكانوا عادة يرتدون تشون مع رو - وهو سترة قصيرة - لينتج عنهما رو تشون؛ وهو ثوب ارتدته نساء هان في الصين القديمة. ومنذ ظهور رو تشون في فترة الدول المتحاربة قبل أكثر من 2000 سنة، ظل شائعاً إلى أن اختفى في بداية عهد سلالة تشينغ. وعلى الرغم من حدوث بعض التغييرات في الطول والعرض على مر القرون، فقد ظل الشكل الأساسي على ما هو عليه. وقد كان رو ثوباً قصيراً بكمين ضيقين وطويلين مع ياقة مستقيمة أو متقاطعة. (الصورة 4-1)



الصورة 4-1 جزء من مخطط التدريب يُظهر نساء يرتدين رو تشون بقصّة منخفضة

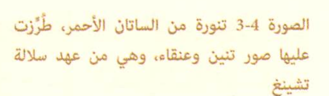
مخطط التدريب بألوان ثقيلة على رسم يُصوِّر نساء من الطبقة النبيلة يحكن الملابس. وفي التمرين هناك أربع نساء يتدربن وهن يرتدين رو تشون بقصة منخفضة؛ ممّا يظهر انحناءات الجسم ويخفي أية عيوب.

والياقة المتقاطعة التي تبدو كالحرف y حين نراها من الخارج مغلقة بأزرار على الجانب الأيمن من الجسم وتدعى يو رين. ووضع الأزرار على الجانب السفلي غير مسموح به؛ إذ إن الياقة المستقيمة تعرض تناظراً مركزياً، وتتناسب مع لباس داخلي يغطي الصدر والبطن ويتلاءم مع تنورة طويلة وأنيقة. وتبدو هذه القَصَّة الذهبية أنيقة للغاية، حيث تبدو النساء في هذه الأثواب أنيقات ومهيبات؛ كصورة مثالية عن الجمال الشرقي الكلاسيكي. ومن غير المفاجئ، كان رو تشون شائعاً للغاية بين نساء هان، وقد أثّر في الدول الآسيوية الأخرى. فعلى سبيل المثال، تأثرت الملابس التقليدية التي ارتدتها النساء الكوريات برو تشون من عهد سلالة هان، وارتدين رو العلوي القصير الذي سُمِّي جيو غوري، مع تشون الطويل ذي الخصر الطويل. (الصورة 4-2)



الصورة 4-2 فتيات بزي كوري بجانب بحيرة تيان تشي عام 2001

يقال إن طراز الأثواب الكورية نشأ من رو تشون الذي ارتدته النساء في عهد سلالة مينغ. ويتكون الثوب من رو علوي وتشون سفلي. رو ثوب قصير ذو فتحة مائلة وكمين منفوخين مثبتين بشرائط، أما تشون السفلي فهو عبارةعن تنورة طويلة ذات خصر عالٍ. ومع اختفاء هان فو تدريجياً بعد عهد سلالة تشينغ، استمر تطور الثوب الكوري؛ من رو تشون من عهد سلالة مينغ مع بعض التغييرات البسيطة إلى ما نراه اليوم كثوب كوري جديد.





الصورة 4-3 تنورة من الساتان الأحمر، طُرِّزت عليها صور تنين وعنقاء، وهي من عهد سلالة تشينغ

يبلغ طول هذه التنورة 158 سم وعرضها 172 سم، وهي مكونة من أربع قطع تتقاطع كل اثنتين منها مع القطعتين الأخريين، كما تضم ثنيات على الجانبين، في حين يشكل الوجه الأمامي لها ثنيتين في الوسط. نشأ هذا النوع من التنانير الذي كان نمطاً مهماً من الأثواب التقليدية للنساء في عهد سلالة مينغ أو حتى قبل ذلك، وظل شائعاً حتى ظهور جمهورية الصين. وقد كانت تنورة مينغ مصممة ببساطة وقليلة الزينة، في حين أن نسخة عهد سلالة تشينغ أكثر تعقيداً، وفيها ثنيات، وعليها تطريز متقن.

وفي العصور القديمة، كانت أثواب النساء غنية بالألوان؛ حيث يمتزج الأحمر مع البنفسجي والأصفر والأخضر والأزرق لينتج عنها أجمل تأثير. (الصورة 4-3)

واللون الأحمر هو أكثر الألوان استخداماً؛ حيث يتم صبغ التنورة الرمانية باللون الأحمر باستخدام نبتة تدعى «زنبق النهار»، ولهذا اكتسب الثوب اسماً ثانياً وهو «تنورة زنبق النهار». ويمكن للثوب المشرق كرمانة حمراء متوهجة ومزهرة



في شهر مايو أن يطلق سحر المرأة الشابة، كما تم تصويره في العديد من القصائد الشهيرة من عهد سلالة تانغ؛ إذ يقال إن الثوب ظهر لأول مرة على السيدة يانغ في عهد سلالة تانغ. وبما أنها تحب الرمان كثيراً، كانت تجمع أزهاره وترتدي أثواباً حمراء مغطاة بأشكال زهر الرمان. وقد زرع الإمبراطور شوان زونغ مزرعة كبيرة بأشجار الرمان حول بركة هوا تشينغ ومعبد الأم الملكة ليحظى بحب المرأة الجميلة. وفي كل شهر مايو، عندما يزهر الرمان، كان الإمبراطور يقيم مأدبة يدعو إليها المقربين منه، فيجلسون بين الشجيرات المزهرة باللون الأحمر. ولأن السيدة يانغ كانت تجذب انتباه الإمبراطور أكثر من كل الضيوف ومن شؤون بلاده، غضب المقربون منه ولكنهم لم يجرؤوا على قول أي كلمة له؛ إلا أنهم رفضوا الترحيب بالسيدة. وفي إحدى المأدبات، طلب الإمبراطور من السيدة الغناء والرقص، لكنها همست له أنها لا تريد ذلك لأن المقربين منه لن يعجبهم ذلك. وعندها، أدرك الإمبراطور مدى انزعاج السيدة من تصرفهم، فأمر على الفور بأن يركع جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين ويلقوا التحية عندما يلتقون السيدة وإلا فسيواجهون عقوبة شديدة. ولم يكن أمام المسؤولين أي بديل سوى الركوع للسيدة كلما رأوها قادمة وقد ارتدت تنورتها المتوهجة. (الصورة 4-4)

ويُقال إن تنورة القفص - وهي تنورة أخرى طويلة وشهيرة من عهد سلالة تانغ - مفصلة خصيصاً للأميرة آنل؛ حيث تم تجميع ريش مئات الطيور، ثم جُمِعت بخيط تمت حياكته ليصبح قماشاً قاموا بقصه وتفصيله. وقد كانت التنورة غنية بالقيمة التزيينية، وتجمع الكثير من الألوان ومستويات الإشراق. وهي تبدو بلون من الأمام، وبلون آخر من الجانب، وبلون آخر في ضوء النهار، وبلون غيره حين لا يتم تعريضها لضوء النهار. كما أن الحاشية السفلية العريضة للتنورة ستبدو مسطحة حين يمشي مرتديها، بالإضافة إلى أن أشكال الطيور الجميلة ستصبح واضحة.



الصورة 4-4 لوحة جدارية عثر عليها في ضريح الأميرة يونغ تاي من عهد سلالة تانغ، بالقرب من ضريح شيان من عهد سلالة تانغ في مقاطعة شيان في إقليم شان تشي

انتحرت الأميرة يونغ تاي ابنة الإمبراطور لي شيان من سلالة تانغ، ودفنت مع زوجها ووي انجي بجانب ضريح شيان. وتظهر هذه اللوحة مشهداً من حياة خادمة في عهد سلالة تانغ. حيث اعتمدت الخادمة تسريحة شنيون مرتفع، وارتدت قميصاً قصيراً ذا كمين ضيقين مغطى برداء وتنورة طويلة، وانتعلت حذاء. وتبدو يداها مشبوكتين أمام بطنها.

وقد صنع هذا الثوب بجمع العديد من التنانير، وهو يتميز بعرضه وأناقته. وفي إحدى القصائد، هناك بيت شعري يصف ثوباً عريضاً وناعماً ومتألقاً كالماء في نهر شيانغ، حيث يشير الثوب العريض إلى واحد مصنوع من قطعة قماش بطول ثلاثة أمتار، واستناداً إلى ذلك يمكن تخيل عرض الثوب. وبسبب استخدام قطعة



الصورة 4-5 تنورة ذات ثنيات كثيرة مصنوعة من قماش قديم الطراز، وقد ارتداها شعب يي في جمهورية الصين، وتم حفظها في متحف نان جينغ في جيانغ سو

التنورة ذات الثنيات ترتديها عادة النساء من الأقليات العرقية كيي ومياو ودونغ. وهي شائعة في يونان وغيزو وسي شوان ومناطق أخرى، كما أنها مصنوعة من أقمشة مختلفة بلونين أو ثلاثة. والتنورة التي تظهر في الصورة مصنوعة من قماش ذي ألوان مشرقة وداكنة بثنيات موزعة ومرتبة بعناية، وقد طرّزت حاشيتها السفلية، وعند جمعها مع ثوب علوي ذي كمين قصيرين وثنيات سوداء على القماش القطني الأبيض تبدو بسيطة ولكنها أنيقة.

كبيرة نسبياً من القماش، قد يكون هناك الكثير من التجاعيد في الثوب، والتي تدعى «مئات الطبقات» أو «آلاف الثنيات»، وهذه الأسماء لا تزال مستخدمة حتى اليوم، حيث تدعى التنورة ذات الثنيات الكثيرة «التنورة ذات الثنيات». (الصورة 4-5)

تنوع كبير في الملابس

في كتاب فني عن الملابس من جميع العصور الصينية، سترى أن الملابس من عهد سلالة تانغ هي الأكثر ألواناً، وأن الملابس ذات التصاميم والأشكال المتنوعة والألوان الجميلة والمبهرجة قد أضافت فصلاً مشرقاً إلى تاريخ الملابس الصينية.

(الصورة 4-6) (الصورة 4-7)

ومع الأراضي الشاسعة والازدهار الاقتصادي والكثير من التبادل الأجنبي، أصبحت شانغان في العصر الذهبي لسلالة تانغ المركز الاقتصادي لآسيا وعاصمة دولية. وبالإضافة إلى شعب هان، هناك أيضاً شعوب هوي هو واليابان وسيلا وفارس والهند وغيرها؛ حيث ساعد التبادل الثقافي بين الشرق والغرب على جعل ملابس سلالة تانغ منفتحة ومتنوعة ورومانسية؛ وخاصة ملابس النساء التي تمسكت بمزايا الأزياء الأجنبية إلى جانب إنتاج طراز ملابس فريد.



الصورة 4-6 لوحة من عهد سلالة تانغ، تم العثور عليها في ضريح الأمير يايد في مقاطعة شيان في إقليم شان تشي

تضع المرأة الظاهرة في اللوحة إكليل عنقاء معلقة عليه حجارة الجاد، مع قميص أبيض ذي قصة منخفضة، وكمين عريضين، وثوب أحمر طويل، وهناك طائران أسطوريان مطرزان على الكمين الممتلئين والأنيقين.

وقد كان تطور روتشون الخاص بالنساء في عهد سلالة تانغ واضحاً وصريحاً، حيث كان مبدأ «كشف الجسم البشري لإظهار جماله» ميزة سائدة في ملابس النساء في ذلك الحين. وقد كان هناك تنوع أكثر في ما يتعلق بياقة رو العلوية أكثر من الياقة المستديرة والمربعة والمائلة، كما ظهرت أيضاً الياقة المكشوفة التي تظهر عظام الكتفين. وقد تم وصف هذا الزي في العديد من القصائد من عهد سلالة تانغ. وفي لوحة



الصورة 4-7 تفاصيل رحلة ربيعية للسيدة غو رسمها زانغ تشوان في عهد سلالة تانغ

تعكس الملابس التي ترتديها النساء في اللوحة تبادل الملابس والأزياء بين الأعراق والقوميات خلال عهد تيان باو في عهد سلالة تانغ؛ حيث يوجد أربعة أشخاص ومن بينهم فتاة يرتدون رو تشون ورداء حريرياً، في حين يرتدي آخران قميصين ذكوريين ذوَي ياقتين مستديرتين. وترتدي السيدة غو رو ثوباً علوياً أزرق فاتحاً بكمين ضيقين وتنورة حمراء مطرزة بأزهار ذهبية، كما تضع وشاحاً حريرياً أبيض على كتفيها، وتنتعل زوجاً من الأحذية الحمراء يظهر تحت تنورتها.



الصورة 4-8 تفاصيل «نساء جميلات يضعن أزهاراً في شعرهن»

تصوِّر هذه اللوحة نساء يسترخين خلال عهد زين يان في عهد سلالة تانغ. وهن يرتدين ملابس فخمة، في حين تحمل خادماتهن المراوح لهن. وهناك امرأة ترتدي ثوباً عريضاً يصل إلى الأرض وذا خصر عالٍ، وقد كشفت عن إحدى ذراعيها، وتضع عود أزهار في شعرها، وتمسك فراشة بيدها اليمنى، وتبدو خجولة وهي تلتفت للنظر خلفها.

«نساء جميلات يضعن أزهاراً في شعرهن» توجد سيدات يضعن أزهاراً ويبدون أنيقات ورائعات، وقمصانهن ذات الأكمام العريضة رقيقة كقشرة البصل، وتتلاءم مع التنانير الطويلة ذات الخصر العالي التي تظهر النساء أنيقات وساحرات. (الصورة 4-8)

وأصبح من الشائع «تنكر المرأة كرجل» خلال عهد سلالة تانغ المزدهر. وعلى الرغم من أن ارتداء المرأة ملابس الرجل أمر عادي اليوم، ولكنه كان نادراً في المجتمعات القديمة التي تحكمها المبادئ الكونفوشيوسية بصرامة. فوفقاً للفكر التقليدي للمدرسة الكونفوشيوسية، إن الرجال متفوقون على النساء، ولا يسمح للمرأة بارتداء ملابس الرجال إطلاقاً. لكن في عهد سلالة تانغ، وخاصة في عهد كاي وان وتيان باو، أصبح الجو الاجتماعي أكثر شمولية، وحصلت المرأة على حرية أكبر، فبدأت بعض النساء بارتداء ملابس الرجال، وانتشر ذلك في ما بعد بشكل تدريجي. (الصورة 4-9)

ووفقاً لكتاب تانغ الجديد، أقام الإمبراطور وو تشينغ زي والإمبراطورة وو زيتيان مرة عشاء في القصر الإمبراطوري. وقد غنت فيه الأميرة تاي بينغ ورقصت وهي ترتدي ثوباً أرجواني اللون عليه حزام مزين بقطع الجاد، ويتدلى منديل من خصرها. وحين رأى الإمبراطور الأميرة في ملابس الرجال ضحك وسألها عن سبب ارتدائها تلك الثياب مع أنه ليس بإمكانها أن تكون مسؤولة عسكرية. وقد كان تقبّله لهذا الطراز من الملابس واضحاً وجلياً. وبما أن الناس في أسفل السلم الاجتماعي كثيراً ما يقلدون ما يفعله الناس في أعلى السلم، بدأت الفتيات بارتداء باو فو وحمل مناديل؛ فانتشر ذلك بين عامة الناس وأصبح شائعاً. (الصورة 4-10)

ومن بين الملابس الجديدة الكثيرة تطور الطراز خلال عهد سلالة تانغ؛ حيث أظهرت ملابس هو تأثيراً كبيراً. وبما أنه تم افتتاح طريق الحرير خلال عهد سلالة هان الغربية، تزايد التبادل بين الصين ووسط آسيا وأوروبا على نحو كبير؛ مما عزز التجارة والتواصل الثقافي. وبالتالي، لا تشير هو إلى قوميات الأقليات التي تقطن في غرب الصين فحسب، وإنما إلى المناطق الشاسعة المجاورة الأخرى في الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية. وبشكل عام، تشير عبارة ملابس هو إلى الملابس التي يرتديها الناس من قوميات أخرى غير هان. وقد تبنى الصينيون ملابس هو بعد الإصلاحات التي قام بها الإمبراطور وو لينغ خلال فترة الدول المتحاربة، كما اشترط أن يرتدي الناس ملابس المجموعات العرقية الشمالية، ويتعلمون الفروسية والرماية ليتمكنوا من تشكيل جحافل فرسان قوية. وقد كانت الملابس مختلفة عن الملابس الواسعة والعريضة التي ترتديها شعوب هان؛ إذ تتميز بقميص قصير وضيق الكمين يصل إلى الركبة، وسروال طويل ذي منفرج مغلق، وحزام من الريش، مع إبزيم ليشده على الخصر. وتلك الملابس



الصورة 4-9 قطعة فخارية من عهد سلالة تانغ تصور امرأة متنكرة كرجل من متحف شان تشي للتاريخ

تم العثور على هذا التمثال ذي الألوان الثلاثة، والذي يُظهِر امرأة متنكرة كرجل في ضريح في أطراف شيان، حيث ترتدي المرأة فوتو؛ وهو ثوب طويل ذو ياقة مستديرة وكمين عريضين، وتضع حزاماً مشدوداً على خصرها. تبدو المرأة جميلة وهي تحدق جانباً، ووجهها وردي اللون، وتحت حاجبيها المقوسين عينان مليئتان بمشاعر الحنان، كما أن فمها أحمر كرزي تحت أنفها الروماني. وهي تلوح بكميها وتميل بخصرها أثناء الرقص. ويبدو من مظهرها أنها امرأة شابة ترتدي ملابس رجال.

مصممة للفروسية، وتعني بساطتها وعمليتها أنها انتشرت لأول مرة بين الجنود ثم بين الناس العاديين. (الصورة 4-11)

بدأت ملابس هو بالانتشار بين النساء خلال عهد زينغ وان وكاي وان، وقد بدا زي هوي هو كثوب طويل باستثناء كونه أعرض ويكاد يصل إلى الأرض وياقته مقلوبة وكماه ضيقان وعلى أطرافهما قماش مخرم عريض. وبالإضافة إلى ذلك، ارتدت النساء حلية رأس مدببة، وتزيّن بمجوهرات من الذهب والجاد



الصورة 4-10 (في الأعلى) قطعة فخارية من عهد سلالة تانغ تُظهر امرأة متنكرة كرجل، وهي محفوظة في متحف لو يانغ في مقاطعة هينان

هذه المرأة متنكرة كرجل، وترتدي هوفو وتضع حزاماً وفوتو ويعلو رأسها شنيون. جسدها مائل، وهي تبتسم بسعادة، كما أن حاجبيها متقوسان فوق عينيها الصغيرتين، وفمها الصغير أحمر اللون؛ مما جعلها تبدو ذات جمال أخاذ ومتألق. ترتدي المرأة ملابس جميلة تعكس ثقافة الملابس الرائعة لعهد سلالة تانغ.



الصورة 4-11 قطعة فخارية مطلية تظهر رجلاً من سلالة هان يمتطي حصاناً، ويرتدي هو فو بياقة مقلوبة. تم العثور على هذه القطعة من عهد تانغ عام 1984 في قرية تشينغ يوان في مقاطعة يان شي في إقليم هينان، وهي محفوظة حالياً في متحف جامعة بي كينغ

يرتدي هذا الرجل فو تو بياقة مقلوبة وسروالاً طويلاً وحزاماً، ويداه شبه مرفوعتين في الهواء. ومن ملامح وجهه- أذناه كبيرتان، وحاجباه كثيفان، وأنفه روماني، وعيناه مفتوحتان- يبدو واضحاً أنه كان رجلاً شجاعاً وجريئاً.





الصورة 4-12 قطعة فخارية من عهد سلالة تانغ تظهر امرأة تمتطي حصاناً وتعتمر قبعة مطرية من القش

كانت القبعات المطرية المصنوعة من القش تصنع عادة بحياكة القش ثم تُغطى بالحرير. وبعضها يتم وضع نسيج على مقدمته ليتدلى ويخفي أو يحمي الوجه وكامل الجسم. وقد كانت القبعة المطرية المصنوعة من القش عملية للغاية عند خروج المرأة؛ إذ إنها تحمي وجهها من العيون المتطفلة وتحجب الرياح والغبار. وهذه القبعة خفيفة الوزن، والمحمولة تجعل معتمرها يبدو طبيعياً ومرتاحاً.

وانتعلن حذاء هو تو ذا نعل طري. وقد كان طراز الملابس هذا شائعاً بين نساء هان. (الصورة 4-12)

والسبب الرئيسي لانتشار ملابس هو في عهد سلالة تانغ هو انتشار رقصة هو، حيث كانت هناك مجموعة متنوعة وغنية من رقصات هو. فحين كان الناس يؤدون رقصات هو كان ينبغي لهم ارتداء ملابس هو.

وقد ساعد المحيط الاجتماعي المغلق في عهد سلالة تانغ في تغذية الروح القومية للابتكار. وخلال فترة الازدهار، ظهر طراز الملابس الأنيقة والفخمة. وقد كانت ملابس النساء في ذلك الحين كنجمة ساطعة في مجرة متلألئة، فأضافت الكثير إلى ثقافة تانغ المتألقة، كما أثرت في ملابس النساء لقرون.

الرداء والسبحة مقارنة ببيزي ذي الكمين العريضين

كان تاج العنقاء نوعاً من تاج الأسقف الذي تضعه الملكة أو الخليلة، وهو مصنوع من القماش الرقيق المغطى بنسيج أسود والمزين بالذهب والفضة والمجوهرات على شكل عنقاء، وعليه شراريب مزينة بالأحجار الكريمة ومتدلية من الطرفين. (الصورة 4-13)

كان طائر العنقاء مشابهاً للتنين في الأساطير الصينية، فهو حيوان ذو معجزات، ويرمز للغنى والحكمة والحظ الطيب، ويُرسم بتجميع أعضاء من حيوانات متنوعة، ويبلغ ارتفاعه ست أقدام أو مترين. كما أنه ملوّن بألوان عديدة، وبسبب صفائه ونبله كان العنقاء رمزاً للسلطة الإمبراطورية في الصين منذ عهد سلالة هان مع أشكال عنقاء يتم وضعها على القماش الذي ترتديه الملكة والخليلات. وقد تم إدراج تاج العنقاء كجزء من نظام التيجان والأثواب خلال عهد سلالة سونغ، ويقال إنه حينها كان على الملكة والخليلات ارتداء تاج العنقاء في المناسبات المهمة. وقد كان الإكليل مزيناً بتسعة طيور ملونة، وأربعة طيور عنقاء، بالإضافة إلى تسع ورود من المجوهرات. وكان هناك نوعان من إكليل العنقاء في عهد سلالة مينغ؛ أحدهما تاج الأسقف الذي تضعه الملكة والخليلات والمشغول بالذهب والمزين بتسعة أشكال تنانين وأربعة أشكال عنقاء تحمل بأفواهها زينة من اللؤلؤ تتدلى حتى الكتف، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من المجوهرات. أما الآخر فهو التاج الذي تضعه النساء العاديات اللاتي منحهن الإمبراطور لقباً. لكن لا يمكن تزيينه بالتنين أو العنقاء، وإنما بحبات على شكل طيور طويلة الذيل ومجوهرات ودبابيس شعر على شكل أزهار. (الصورة 4-14)

وهناك صدرة مطرزة كنوع من الرداء تدعى الرداء الحريري، وقد تمت مقارنتها بالغيوم الوردية الجميلة، وهي على شكل غيمتين ورديّتي اللون، ومعلق بها زهرة مصنوعة من الذهب. وقد كانت النساء من الطبقة الثالثة والرابعة يرتدين صدرة وردية اللون مطرزة بأشكال طاووس وغيوم وقد علّقت عليها أزهار ذهبية، أما النساء من الطبقة الخامسة فكن يرتدين صدرة مطرزة بالغيوم الوردية والبط



الصورة 4-13 تاج حفر عليه 12 تنيناً وتسعة من طيور العنقاء، وقد تم العثور عليه عام 1958 في قصر ضريح دينغ الإمبراطوري في بكين، وهو محفوظ في متحف دينغ لينغ

كان هذا التاج للملكة شياو جينغ خلال عهد الإمبراطور وانلي. وهذه التنانين المحفورة لها وضعيات متنوعة؛ فكل منها يقف على قوائمه الأربع مرفوع الرأس، أو يمشي أو يركض. وتحت التنانين، توجد طيور عنقاء تمد أجنحتها وتطير حاملة المجوهرات في فمها، وتحتها توجد زينة من اللؤلؤ، كل واحدة منها فيها تسع مجوهرات مرصعة في الوسط، وكل واحدة فيها حبات مجوهرات يصل عددها إلى 121 جوهرة و3588 لؤلؤة؛ مما يجعله باذخاً ومترفاً.



الصورة 4-14 تاج العنقاء هذا للملكة شياودوان من عهد سلالة مينغ، وهو محفوظ في قاعة الكنوز في متحف القصر في بكين

ارتدت الملكة شياودوان زوجة الإمبراطور وانلي هذا التاج الاحتفالي حين حصلت على لقب ملكة. والتاج مصنوع عن طريق شبك قش رقيق وتزيينه بالريش. ومن الأمام عليه طائرا عنقاء يطيران بشكل متناظر، وفي الأعلى ثلاثة تنانين مشبوكة بالذهب واثنان منهما يحملان أحجاراًكريمة وحلياً بفميهما، وفي مؤخر التاج يوجد شنيون عريض على شكل مروحة مصنوع من اللآلئ والمجوهرات، أما على حافة التاج فتوجد دائرة مرصعة بالياقوت.

الصيني ومعلقة عليها أزهار فضية مطلية بالذهب، في حين أن النساء من الطبقة السادسة والسابعة ارتدين صدرة مطرزة بالغيوم الوردية وصائد الذباب طويل الذيل ومعلقة بها أزهار فضية، أما صدرة النساء من الطبقة الثامنة والتاسعة فمطرزة بأشكال الأزهار المتشابكة ومعلقة بها أزهار فضية. وخلال عهد سلالة تشينغ، تطورت الصدرة المطرزة إلى نوع واسع من ثوب بلا كمين مزين في وسطه ببوزي، ومن حاشيته السفلية تتدلى خيوط ملونة. وقد كان بوزي النساء أصغر من بوزي الرجال؛ حيث يبلغ مقاسه 24-28 سم في كل جانب، وهو مطرز بأشكال الطيور فقط، ويجسد فكرة أنه «ما من خير في تمجيد المرأة الفاضلة للروح العسكرية».

(الصورة 4-15)





الصورة 4-15 صدرة مطرزة من عهد سلالة تشينغ

في عهد سلالة سونغ، كانت النساء النبيلات اللاتي يحملن لقباً يرتدين صدرة مطرزة، ويختلف الشكل المطرز على الصدرة بحسب الرتبة الرسمية لمن ترتديها؛ كما هي الحال مع بو فو الذي يرتديه المسؤولون. وحين يتعلق الأمر بعهد سلالة تشينغ تتم إضافة بوزي إلى الصدرة من الأمام والخلف، في حين تتدلى خيوط ملونة من الحاشية السفلية. وهذه الصدرة مزينة بأشكال روي على الكتف والياقة، ومطرزة بخيوط الذهب على الحواشي، وهناك أشكال بوزي على الصدر وتنينان يواجهان بعضهما على الخصر. وتشمل الزينة الأخرى مياه البحر وأسنان النهر وطيور العنقاء والكركي والسمان والخفافيش وأنواع أخرى من الأزهار. وقد وُضِعت خرزة على التنين لإرسال رسالة مفادها أن «التنانين الذهبية تلعب بالسبحة. والصدرة غنية بالألوان، حيث إن الخلفية أرجوانية باهتة، والغيوم زرقاء، والتنين أصفر ذهبي وأحمر، ومياه البحر بيضاء وصفراء، ومع أن الصدرة غنية بالألوان إلا أنها مميزة ومعقدة وواضحة.

الصورة 4-16 تاج عنقاء ذهبي محفور، يرجع إلى فترة حكم الإمبراطور شيان لونغ في عهد سلالة تشينغ، وهو محفوظ في متحف نان جينغ

بالإضافة إلى أحرف ترمز إلى عبارة «الانتداب الإمبراطوري»، يوجد على هذا التاج الكثير من المجوهرات، بما فيها حجر كريم أحمر يشكل جزءاً من التقليد الذي يدعى «تاج العنقاء والصدرة المطرزة»، وقد تم العثور عليه في ضريح عائلة لي وي الذي كان الحاكم العام لمقاطعتي جيانغ نان وجيانغ تشي، كما أنه مسؤول من الرتبة الأولى خلال عهد سلالة تشينغ. وقد وضع هذا التاج بعد وفاة السيدة لي لإظهار مكانتها الاجتماعية العالية.

هناك أنظمة صارمة تتحكم بارتداء التيجان والأثواب منذ العصور القديمة، وخاصة الملابس التي لا يتم ارتداؤها سوى في المناسبات الهامة. لكن وفقاً لآداب التعامل الصينية، في المناسبات كطقوس التضحية وحفلات الزفاف تكون هناك استثناءات في قوانين اللباس، لذا يسمح للنساء بارتداء تاج العنقاء والصدرة المطرزة عند زواجهن أو حضورهن الجنائز. (الصورة 4-16) (الصورة 4-17)

الصورة 4-17 تاج محفورة عليه ستة تنانين وثلاثة طيور عنقاء، وقد تم العثور عليه عام 1958 في القصر تحت الأرض في ضريح دينغ الإمبراطوري في بكين، وهو محفوظ حالياً في متحف دينغ لينغ

توجد على التاج ستة تنانين مصنوعة من الذهب المشبوك، وتحتها ثلاثة طيور عنقاء مصنوعة من ريش صائد الذباب تمد أجنحتها استعداداً للطيران. وطيور العنقاء والتنانين تحمل جميعها مجوهرات في أفواهها، ومحاطة بالنباتات المزهرة المصنوعة من اللآلئ والمجوهرات. ويمتد الشنيون العريض خلف التاج، ويبدو كذيل عنقاء يتوهج بالألوان. والتاج كله لامع ومتألق بالمجوهرات ويبدو رائعاً؛ حيث يبلغ ارتفاعه 35.5 سم وعرضه 19-20 سم، كما يبلغ طول الشنيون العريض 31.8 سم وعرضه 8 سم، ويبلغ وزن الإكليل 2.905 كلغ.

وقد استمرت عادة وضع النساء لتيجان العنقاء وارتدائهن الصدرة المطرزة عند زواجهن لمدة 800 سنة، ولم تتلاشَ إلا عام 1949، حيث توجد أسطورة تشرح أصل الثياب، وتقول إنه في نهاية عهد سلالة سونغ الشمالية، جاءت جميع جيوش دولة جين من الشمال، واحتلت أراضي سونغ في الجنوب، وهزمت الإمبراطور زاو غو من سلالة سونغ الذي هرب جنوب نهر يانغ تزي. وبعد أن عبر نهر شيان تانغ، ظلت جيوش جين تلاحقه حتى أصابه الإرهاق، فتوقف أمام قرية شيان جين في منطقة نينغ هاي، حيث وجد في الطريق معبداً مدمراً وأمامه امرأة ريفية تجفف الحبوب في الشمس، فطلب منها زاو غو المساعدة، وظهرت حكمتها البالغة في تلك الحالة المستعجلة، وأخفته في سلة الخيزران التي استخدمتها لتجفيف الحبوب، وجلست على السلة مكملة عملها وخادعة الجنود ومنقذة حياة زاو غو. وبعد أن نجا من الموت بأعجوبة، شعر بالامتنان للمرأة وعبّر لها عن شكره، ووعدها أنه في حال استعاد عرشه فستتمكن من وضع تاج عنقاء وارتداء صدرة مطرزة كخليلة إمبراطورية في يوم زفافها. وكما هو متوقع، وصلت الإمدادات لزاو غو، وبعد تغلبه على العديد من الصعاب بدأ برد الجميل لمن ساعدوه، وخاصة للمرأة الريفية أمام المعبد المدمر، حيث تذكر زاو غو الوعد الذي قطعه لها وأصدر قراراً بذلك، كما خوّلها الإمبراطور بإعادة تشييد المعبد المتهالك. وهكذا، بدأت الفتيات في القرى المجاورة بتقليد المرأة، وارتداء تاج العنقاء وصدرة مطرزة عند زواجهن، وهكذا انتشرت هذه العادة تدريجياً، وكانت أصل مقولة إن «جميع النساء في جيانغ سو وزي جيانغ يتم تكريمهن كملكات».

وفي عهد سلالة مينغ، كان هناك شرط واضح؛ وهو أنه في نظام التيجان والأثواب، ينبغي أن يتطابق تاج العنقاء والصدرة المطرزة مع قميص عريض الكمين وبيزي؛ وهو ثوب علوي يُغطى بوشاح يصل إلى نصف الذراع. ويتم ارتداء بيزي في الخارج.

ويعود أصل بيزي إلى عهد سلالتي سوي وتانغ، وقد بقي مستخدماً خلال عهد سلالتي سونغ ومينغ، وكانت النسخة القديمة منه مشرقة الألوان وقصيرة نوعاً ما



مع كمين يصلان إلى المرفقين، أو بدون كمين على الإطلاق. ويعكس هذا الطراز الأناقة والرقي في عهد سلالتي تانغ وسوي. أما في عهد سلالة سونغ، فقد أصبح بيزي مشهوراً، وهو مصنوع بطراز متنوع، حيث يرتديه الرجال كملابس يومية وتفضله النساء لجميع المناسبات. كما ازداد طول بيزي ليصبح بطول ثوب، وأصبح كماه أعرض من القميص. وقد تم تبني تقنية قص تصل الثوب بكمّيه، وتعكس القطعة بكاملها تناظراً بين الجانبين. وقد تم استخدام مهارات يدوية كربط الحواف، والتطريز، والرسم على البرونز، والرسم الملون على الياقة والكمين وطرف الفتحة الجانبية والخصر والحاشية السفلية، كما تم تطريز أشكال زهرة الكاميليا وأزهار البرقوق والزنبق على بيزي؛ مما جعله أنيقاً ومهيباً. وقد ورث بيزي من عهد سلالة مينغ مزايا عهد سلالة سونغ، وأصبح بالتالي مرتباً وبسيطاً؛ حيث يكون الكمان إما عريضين أو ضيقين مع فتحة عند الإبط، وقد جعل الشق المشي أكثر سهولة. كان ارتداء بيزي مريحاً في معظم المناسبات؛ مما أكسبه شعبية سريعة؛ من البلاط الملكي إلى شارع القرية خلال تلك الفترة.

| شي ني ذو الحظ الطيب: ثقافة الملابس الداخلية القديمة

لم يكن شي ني اسماً منمقاً، وإنما هو نوع من اللباس المتألق... اللباس الداخلي الصيني. فخلال فترات تاريخية مختلفة، حمل اللباس الداخلي أسماء مختلفة. وفي عهد سلالة هان، حمل اسم شي ني. وهو يتكون من قطعة واحدة فقط من الأمام مربوطة للخلف، حيث لا توجد أي ملابس. أما ليانغ دانغ التي ظهرت خلال عهد سلالتي جين فلها قطعتان في الأمام والخلف، وتبدو كالصدرة، في حين أنه في عهد سلالة تانغ كان اسم اللباس الداخلي هي زي، حيث كان من الشائع بين النساء ارتداء ثوب ذي خصر عالٍ؛ مما ساعد في رفع خط الخصر قريباً من الصدر. ولم يكن هناك سوى هي زي صغير وقصير في الجزء العلوي من الجسم، بدون شرائط للكتف، وهو مغطى بنسيج خفيف وشفاف يكشف عن الكتفين ويبقي مقاسات الجسد قريبة من القصة الذهبية. وهي زي المزين بشكل جميل والملون بروعة يترك البشرة شبه مخفية وشبه مرئية. وفي عهد سلالة سونغ، كان اللباس الداخلي يدعى موش يونغ، وكان يغطي الصدر والبطن ويتمتع بألوان وأشكال أنيقة وبسيطة. وحين يتعلق الأمر بسلالة يوان، ظهر اسم يثير الحماسة؛ لأنه يرمز للجماع ويكشف عن الظهر حيث لا يوجد سوى رباط ولكن بدون شرائط للكتف، ويمكن إغلاقه بالأزرار أو ربطه بشريط من الأمام. وخلال عهد سلالة مينغ، أصبح اللباس الداخلي يدعى زو ياو وبدا كالصدرة؛ حيث يوجد على جانب الخصر رباط، مما يجعل الخصر يبدو أضيق. وفي عهد سلالة تشينغ، تمت إعادة تسمية هذا النوع من اللباس ليصبح معناه «مشد البطن» وقبله الناس من أنحاء البلاد كافة. (الصورة 4-18)

وانتشر مشدّ البطن لأنه يغطي البطن السمين، كما أنّ له فوائد صحية؛ إذ يمكنه حماية الصدر والبطن من الهواء البارد، ويمكن وضع الأدوية والأعشاب في أكياس بخور في طرفه. وبشكل خاص في شمال غرب الصين، يضع الناس مشدّ البطن طوال العام. ويقال إنه حتى قبل ولادة الطفل تقوم أمه بتحضير زنار بطن أحمر، وبعد ولادته يحصل الطفل على زنار بطن في كل عيد ميلاد له. كما يتلقى





الصورة 4-18 تم عرض مشد البطن هذا في قاعة عرض الأعمال الحريرية، في متجر روي فو شيانغ في الحي التجاري القديم في زو كون في مقاطعة شان دونغ

كان مشد البطن لباساً داخلياً تقليدياً لدى الصينيين، يتم ارتداؤه على الجلد مباشرة، وهو يستخدم لحماية الصدر والبطن من البرد. وعادة، يكون مشد البطن مربعاً أو مستطيلاً، وإحدى زواياه مقطوعة كنصف دائرة حيث تكون الياقة. ويكون أسفله إما على شكل طرف مستدق أو قوس دائري، ويكون مطرزاً دائماً بأشكال مباركة.

الرجل مشد بطن من زوجته، وحين يتقدم الرجل والمرأة في السن يحصل كل منهما على مشد للبطن من ذريتهما للحفاظ على الصحة الجيدة والسلامة وطول العمر وغير ذلك. والناس الذين يتلقون مشدّ بطن طوال حياتهم يتمتعون بالعناية التي يؤمنها لهم. (الصورة 4-19)

ولأنه يتم ارتداء مشدّ البطن على البشرة مباشرة، يتم صنعه عادة من القطن أو الحرير. ومعظم المشدات حمراء اللون؛ إذ ترمز للحظ الطيب. وبالإضافة إلى ذلك، هناك ألوان مشرقة أخرى كالأخضر والأزرق والأصفر وغيرها، وهناك أشكال مباركة وملونة تزين مشد البطن، ويمكنها إضافة جمال بصري، وتؤدي دوراً تزيينياً، كما أن لها أهمية أكبر؛ حيث إن لها رمزية عميقة، وتعبّر عن الآمال بالحظ الطيب والحياة الآمنة. (الصورة 4-20)

وهناك مجموعة متنوعة وغنية من الأشكال المباركة طُرِّزت على مشدات البطن. وبالإضافة إلى الأزهار والطيور والحشرات والسمك، تم استخدام شخصيات من القصص الخيالية والأساطير. (الصورة 4-21)

وكانت الأشكال التي تلتمس البركة والتخلص من الأرواح الشريرة مطرزة أكثر على زنانير البطن الخاصة بالأطفال، وأكثر تلك الأشكال انتشاراً هي أشكالُ النمر؛ مما يعبِّر عن الأمل بأن يكبر الأطفال ويكونوا أقوياء كالنمر. في حين طرّزت عائلات أخرى قفل طول العمر على زنانير البطن الحمراء التي يضعها الأطفال، ويتم ربطها عادة حول العنق لضمان طول العمر والحظ الجيد. (الصورة 4-22)

كما تم استخدام أشكال السعادة والبركة ليعبّر الناس عن رغبتهم بالحياة السعيدة، والصحة الجيدة، وطول العمر، والمزيد من الأبناء، والترقية في العمل، والصحة وغيرها. فعلى سبيل المثال، يشير شكل «الغراب الواقف على شجرة البرقوق» إلى حدث سعيد يوشك أن يحصل، في حين يشير شكل «طائر العنقاء الذي يحمل نباتاً مزهراً» إلى الحظ الطيب؛ إذ إن العنقاء ملك جميع الطيور، والنبات المزهر يرمز إلى الثراء والمكانة الاجتماعية. ويتكون شكل «السعادات الخمس مع طول العمر» من خمسة خفافيش، ويعني الشكل الصيني «حياة أطول»؛ إذ يتم لفظ كلمة «الخفاش» مثلما تلفظ كلمة «السعادة»، لذا يُستخدم هذا الشكل لتمني الأمنيات الطيبة للكبار في السن. (الصورة 4-23)

ومشدّات البطن في بعض مناطق مقاطعة شان تشي طُرِّزت عليها أشكال قرع أو يقطين؛ وذلك لأنه بالنسبة للقدماء في تلك المناطق، كان القرع واليقطين طعامهم. ولأن لتلك المحاصيل الكثير من البذور؛ فهي ترمز للكثير من الأبناء الذين سيجلبون المزيد من البركات. ترتدي النساء أيضاً مشدّات البطن كنوع من اللباس الداخلي. وهي خاصة، ويستخدمها العشاق للتعبير عن حبهم المستمر. وتقوم النساء غير المتزوجات بتطريز صورة رجل وامرأة على مشدات البطن الخاصة بهن على أمل اللقاء بأحبابهن. ويبقى وجه الرجل فارغاً حتى ليلة الزفاف، ثم يتم تطريز تعابير وجهه بعد الزواج؛ وهذا يرمز إلى أنه تم العثور أخيراً على شريك الحياة.



الصورة 4-19 مشدّ بطن من الساتان الأحمر عليه صورة أسد يدحرج كرة من الأزهار

تم تطريز صورة قفل طول العمر الذي كان شائعاً أنه يطيل العمر على مشدّ البطن هذا. وقد تم ذلك بإخراج الخيط الذهبي من الجانب السفلي، ولفه حول نهاية الجانب السفلي لتشكيل حلقة صغيرة تم تثبيتها كنقطة. وتم تنظيم النقط بشكل متساوٍ، ولئلا ينكشف الجانب السفلي، وهذه الطريقة في التطريز هي الأكثر قدماً في الصين.



الصورة 4-20 مشد بطن

الشكلُ المباركُ الشائعُ «الأبناء المتتالون» مطرّز على مشد البطن هذا المصنوع من الساتان الأحمر. وهو واحد من أكثر الأشكال المباركة شيوعاً في الصين. والطفل الجميل أبيض البشرة المطرز عليه يحمل سمكة، ويجلس على شجرة نيلوفر. وهناك مقولة أدبية عن النجاح في اختبار الخدمة المدنية.



الصورة 4-21 مشدّ بطن طُرّزت على قماشه الأحمر صورة راعي بقر وامرأة تلوّح

راعي البقر والمرأة التي تلوّح من قصة خيالية صينية قديمة تعود إلى عهد سلالة هان. وقد كان راعي البقر والمرأة التي تلوّح زوجين انفصلا بسبب خرقهما أوامر السماء، واضطرا للعيش في مكانين متباعدين، ولم يكن بإمكانهما أن يلتقيا سوى في أمسية 7 يوليو في كل سنة شمسية على جسر، وقد حوّل عامة الناس هذه القصة إلى شكل مطرز طلباً للزواج السعيد.



الصورة 4-22 مشدّ بطن من الساتان البني والأحمر الداكن، مطرّز عليه نمر يكافح خمسة مخلوقات سامة

تشير «المخلوقات الخمسة السامة» إلى العقرب والثعبان وأم أربع وأربعين والسحلية وضفدع المستنقعات. ووفقاً للتقاليد الشعبية الصينية، إن المخلوقات السامة تخرج في شهر مايو بحثاً عن ضحاياها، وباستطاعة النمر هزم جميع الوحوش الشريرة. وبالتالي، يتم دائماً استخدام النمر لطرد المخلوقات السامة الخمسة وصرف الأرواح الشريرة. ويُمثّل مشدّ البطن هذا المخلوقات الخمسة السامة، وقد تم استبدال رؤوسها والقسم العلوي من أجسامها بصور نساء يرتدين ملابس ملونة؛ مما يجعل الصورة فكاهية ومرحة.



الصورة 4-23 مشدّ بطن من الساتان الأحمر، طُرّزت عليه أشكال تشير إلى السلامة والثراء

عادة، يُطرّز على مشدّ البطن شكل «نبات مزهر في زهرية»؛ حيث يرمز النبات المزهر للثراء، وكلمة «الزهرية» في اللغة الصينية تُلفَظ بالصوت نفسه الذي تُلفَظ به كلمة «السلامة». ولهذا، يعني هذا الشكل «السلامة والثراء». كما توجد أشكال فراشة ورمانة ونيلوفر وغيرها، ولكل منها معنى جميل؛ مثل «فراشة تحب زهرة» و«الأبناء» و«الأبناء المتتالون».





الصورة 4-24 رقصة جماعية تؤديها 36 فتاة يرتدين أنواعاً مختلفة من مشدات البطن

سبب ظهور «مشدات البطن» هو فكرة أن الملابس في المستقبل ستتطور لتصبح بسيطة وفاخرة في الوقت نفسه، وأنه سيتم تصوير التقاليد الشعبية بتقنيات جديدة. هناك شريط رقيق يلتف حول العنق، وشريطان حريريان يلتفان حول خصر نحيل. تساعد مشدات البطن الفتيات الشابات في إظهار حيويتهن. وعلى الرغم من بساطتها، فهي قادرة على إظهار جمالهن وإغرائهن الجنسي.

وتوجد على مشدات البطن التي يرتديها الأزواج حديثو الزواج بطتا مندرين تعبثان في الماء بمرح. (الصورة 4-24)

وعلى الرغم من وجود الكثير من أنواع الزينة على الملابس الصينية القديمة، إلا أنه بشكل عام ليس هناك سوى تنوع قليل في الطراز؛ فمعظم الملابس الداخلية تتكون من قطعة أمامية من القماش تحمي الصدر والبطن وشريطين يثبتانها إلى الظهر. ولم يحصل أول تغيّر رئيس في الملابس الداخلية الصينية إلا في العصر الحديث، حين بدأت الملابس الداخلية الغربية بالتأثير في الملابس الصينية، لكنّ تطور الملابس الغربية كان أكثر تعقيداً من الملابس الصينية. ففي الغرب، تطوّرت

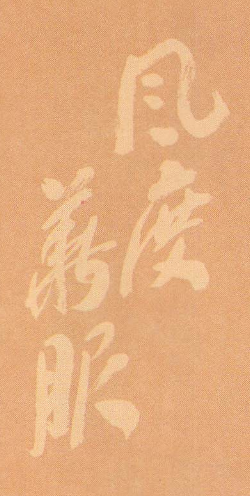
الملابس الداخلية النسائية من قميص إلى مشد للأضلاع ثم إلى حمالة ثدي؛ إذ بدلاً من اتباع فكرة «إخفاء الجسم البشري» التي كانت تميز الملابس الداخلية الصينية القديمة، أولت الثقافة الغربية أهمية كبيرة «لإظهار الجسم البشري»، ولإظهار جمال انحناءات الجسم مع صدر مرتفع وخصر ممشوق؛ لذا شدّت النساء الغربيات أجسادهن بمشد ضيق، واستمر ذلك لما يقارب 300 عام. (الصورة 4-25).



الصورة 4-25 امرأتان ترتدي كل منهما مشداً للأضلاع

كان مشد الأضلاع شائعاً خلال القرن التاسع عشر، لكن أزياء النساء استمرت في توجهها نحو استخدام مشد يعمل على تعديل شكل الجسم، فيرفع الصدر ويضغط على البطن، كما يشكل تبايناً مع الردفين البارزين.

وفي القرن التاسع عشر خاصة، استخدمت النساء مشد الأضلاع لتشكيل أجسادهن على شكل الحرف S، فوصل الجمال الأنثوي إلى قمة الكمال، حيث أصبح مشد الأضلاع دليلاً ضرورياً على مواكبة آخر الصيحات من الطبقتين المتوسطة والعليا. ولم يتوقّف استخدام مشدّ الأضلاع حتى الحرب العالمية الأولى؛ حيث حلت محله حمالة الثدي البسيطة والفعالة.



الملبوسات والإكسسوارات الصينية

الفصل الخامس

طراز غربي صيني: الملابس تدخل قرناً جديداً

البذلة الصينية التي تظهر التأثير الغربي في الشرق

على مدى قرون، اعتمر الرجال الصينيون قبعات عالية، وارتدوا ملابس ذات خصر عريض. وخلال عهد سلالة تشينغ، غيروا ملابسهم، وارتدوا أثواباً طويلة، ووضعوا قلنسوات، وسرحوا شعرهم بجدائل طويلة. وقد استمرت هذه الصيحة حتى ثورة عام 1911 بقيادة د. سون يات سين، حيث أطاحت بآخر سلالة إقطاعية، وأنهت النظام الإمبراطوري، وأسست جمهورية الصين. ومع نهاية نظام اجتماعي استمر لآلاف السنوات، خضعت ثقافة الملابس التي أدت دوراً عقائدياً للإصلاحات، حيث تلاشت تدريجياً تقاليد المانشو بحلاقة الرجال لرؤوسهم وضفرهم شعرهم، وممارسات هان المتمثلة بربط أقدام النساء. وعلاوة على ذلك، تم القضاء على التقاليد والأنظمة التي تحكم كيفية ارتداء الملابس والقبعات، والأوقات المناسبة لذلك، والتي عكست الطبقات الاجتماعية المختلفة.

وبعد حرب الأفيون، دخلت الصين العالم الحديث. ومع غزو القوى الإمبريالية الغربية للأراضي الصينية، أبدت الثقافة الغربية تأثيراً مضاعفاً في الشرق؛ مما أدى إلى تطور طراز الملابس الصينية وتأثُّرها بالملابس الغربية؛ حتى إن طراز ملابس غربياً بشكل بحت انتشر في الصين، في حين أن العديد من أفراد المجتمع الصيني كانوا لا يزالون يرتدون أثواباً طويلة وفضفاضة تعود إلى عهد سلالة تشينغ. وعلى الرغم من أن حكومة جمهورية الصين أعلنت أنه يمكن ارتداء الملابس الغربية والأثواب الطويلة التقليدية كملابس احتفالية، إلا أنها لم تمنع ارتداء أي ملابس؛ مما شجع الناس على ارتداء ما يحبونه، ونتجت عن ذلك مجموعة متنوعة وغنية من الملابس. غير أن ذلك أدى إلى اضطراب اجتماعي، ممّا آذى شرف الشعب الصيني وصورة الأمة. (الصورة 5-1)

وقد احتاج الشعب الصيني لطراز ملابس خاص به، وأدى سون يات سين دوراً هاماً في ظهور البذلة الصينية التي كانت لباساً للذكور ومعروفة باسم بذلة سون يات سين لأنه أول من ارتداها. وقد أرسلت البذلة الصينية حديثة التصميم رسالة عميقة للأمة والعالم بدمج المزايا الغربية والصينية.





الصورة 5-1 ملابس شائعة للرجال خلال السنوات الأولى لجمهورية الصين، وتشمل الأثواب الطويلة والبذلة الطويلة وملابس على الطراز الغربي

مع انتشار التأثير الغربي في الشرق منذ حروب الأفيون، دخلت الملابس الغربية حياة الشعب الصيني. وفي القرن العشرين، بدأ العديد من أبناء الجيل الشاب بارتداء الملابس الغربية، في حين بقي الكبار في السن يرتدون الأثواب الطويلة التقليدية وسترة الفروسية؛ مما أدى إلى حصول فجوة واضحة في طراز الملابس الصينية، وصدور أمر حكومي بأن تصبح البذلة الصينية اللباس الاحتفالي.

وفي عام 1912، قررت حكومة جمهورية الصين أن تصبح البذلة الصينية الثوب الاحتفالي الوطني. وكان في نسختها الأولى ستة أزرار من الأمام، ودرزة تمتد على طول الظهر، وجيوب مع ثنيات موصولة بالثوب العلوي. وبحلول الثلاثينيات، حصل تصميم البذلة الصينية على مفهوم الثورة وتأسيس دولة جديدة، حيث ترمز الجيوب الأربعة في مقدمة السترة إلى الأنظمة الأربعة التي تساعد في تأسيس أمة جديدة: اللياقة والصلاح والصدق والشعور بالذنب. وأغطية الجيوب تبدو على شكل غطاء قلم مقلوب؛ مما يعكس الاحترام لأهل الفكر. والهدف الذي تُعبّر عنه تلك السترات هو أنه ينبغي حكم الدولة وفقاً للثقافة والعلم. وهناك خمسة أزرار بدلاً من ستة في مقدمة السترة، مما يرمز لانفصال السلطات الخمس التي أسستها حكومة كو مين تانغ: التنفيذية والتشريعية والقضائية والفحص والمراقبة. وتشير الأزرار الثلاثة على كل كمّ إلى مبادئ الأشخاص الثلاثة الذين ساعدوا في تأسيس الدولة: الوطنية والديمقراطية ومعيشة الناس، كما ترمز للفلسفة الجمهورية للديمقراطية والمساواة والمؤاخاة العالمية. وتدلّ الياقة المغلقة على «تأمل الذات في ما يتعلق بالنقاط الثلاث» ثم تصحيح الأخطاء بصرامة. (الصورة 5-2)



الصورة 5-2 هذه البذلة الصينية ارتداها سون يات سين، وهي موجودة في معرض 2009 لسون يات سين ورفاقه في السلاح

اكتسبت البذلة الصينية اسمها الصيني «بذلة سون يات سين» بسبب د. سون يات سين الذي كان أول من ارتداها. وهي تجمع بين مزايا الملابس الغربية وتلك الصينية. كما أنها أنيقة، وتحمل الكثير من المعاني العميقة، وتتطابق مع تقاليد الملابس الصينية، بالإضافة إلى الشخصية الوطنية المنغلقة والحكيمة. وهي تعرض جمال التناغم الشرقي، وقد لقيت قبولاً من الناس من جميع المستويات الاجتماعية.

أما السروال فغربيّ الطراز، حيث تتكون القطعتان الأمامية والخلفية من قطعتين، وفوق الثنيات الجانبية على كلا الجانبين هناك جيوب مستقيمة، وحول الخصر من الأمام توجد ثنيتان متوازيتان وثنيتان على شكل T. وعلى الجانب الأيمن من الخصر يوجد جيب للساعة، وهناك جيوب خلفية.

وطوال التاريخ الصيني، كانت هناك دائماً قواعد في ما يتعلق بطول الملابس؛ حيث لا يمكن سوى للأرستقراطيين الإقطاعيين والأثرياء ارتداء الملابس الطويلة. وبما أن البذلة الصينية ذات سترة قصيرة، فبإمكان الناس من جميع الطبقات ارتداؤها، وهذا يتلاءم مع الديمقراطية التي كانت سائدة حينها، ومع تطور الملابس العالمية. لكن البذلة الصينية بقيت محافظة على ياقة مائلة ومغلقة صغيرة، في حين تتمتع البذلة الغربية بياقة مفتوحة وكبيرة، كما أن للبذلة الصينية أربعة جيوب موزعة على نحو متناظر، في حين أن البذلة الغربية لا تحتوي سوى على ثلاثة جيوب مرتبة بشكل عشوائي. وينبغي إغلاق جميع أزرار البذلة الصينية، في حين أن السترة الغربية يمكن ارتداؤها وتركها مفتوحة بالكامل. (الصورة 5-3)

اكتسبت البذلة الصينية اسمها الصيني «بذلة سون يات سين» بسبب د. سون يات سين الذي كان أول من ارتداها. وهي تجمع بين مزايا الملابس الغربية وتلك الصينية. كما أنها أنيقة، وتحمل الكثير من المعاني العميقة، وتتطابق مع





الصورة 3-5 في الستينيات والسبعينيات ارتدى معظم الرجال الصينيين بذلات صينية

للبذلة الصينية ياقة مغلقة ومائلة، وخمسة أزرار في الوسط عند الفتحة الأمامية، وقطعة ظهر بدون أي ثنيات، وعلى الكمين توجد أزرار للزينة وشقوق زائفة، أو لا توجد أي أزرار أو شقوق. وهناك جيوب كبيرة على الجانبين الأيمن والأيسر، بتناظر مع غطاء وأزرار في حين أن الجيوب الصغيرة (الجيبين الصغيرين؟) في الأعلى لها شكل قوس. وهناك ثلاثة جيوب على السروال؛ اثنان في كل جانب، وواحد مع غطاء في الخلف. الصورة 2-5 هذه البذلة الصينية ارتداها سون يات سين، وهي موجودة في معرض 2009 لسون يات سين ورفاقه في السلاح

تقاليد الملابس الصينية، بالإضافة إلى الشخصية الوطنية المنغلقة والحكيمة. وهي تعرض جمال التناغم الشرقي، وقد لقيت قبولاً من الناس من جميع المستويات الاجتماعية.

وعلى الرغم من تأثر البذلة الصينية بالملابس الغربية، إلا أنها ظلت محافظة على مزاياها الشرقية ومتميزة بطرازها الطبيعي. فهي أنيقة وعملية وسهلة الارتداء، وتتلاءم مع عادات اللبس الصينية والخصائص القومية المتمثلة في الحكمة والخصوصية، كما أنها تُظهر الجمال الشرقي للتناغم المنعكس في الجمال الوطني الصيني؛ وفقاً للتفضيلات الجمالية لدى الشعب الصيني. ويمكن صناعة البذلة

الصينية من قماش فاخر أو من قماش عادي، كما يمكن ارتداؤها كملابس يومية أو في المناسبات الرسمية؛ فهي مناسبة لكل أنواع الطقس وللشباب والكبار في السن. ولأن الناس من جميع الطبقات الاجتماعية يمكنهم ارتداء السترة الصينية، تلقاها معظم أفراد الشعب الصيني بالترحيب.

وبعد تأسيس الصين الحديثة عام 1949، أحب الرئيس ماو وبعض القادة الثوريين الآخرين البذلة الصينية، فأصبحت ثوباً رمزياً للأمة بكاملها وثوباً احتفالياً رسمياً للصين. وفي المراحل الأولى لتأسيس الصين الحديثة، أظهر زو إين لاي للعالم صورة جديدة للصين، وذلك حين حضر مؤتمرَي جنيف وبان دونغ مرتدياً البذلة الصينية.

ولا تزال البذلة الصينية تعكس النشاط الوطني للدولة، وهي شائعة بين الشعب. وقد أصبح اختيار البذلة الصينية أسلوب حياة جديداً؛ حيث يفضِّل بعض الطلاب الشباب ارتداء البذلة الصينية في حفلات تخرجهم وفي العروض المسرحية وفي حفلات الزفاف. وحتى إن بعض المشاهير الصينيين يرتدون البذلة عند حضور المحافل والمؤتمرات الدولية، ليظهروا الثقة والجاذبية الصينيتين. وهناك المخرجون ذائعو الصيت زان غيي مو ولي آن وجيا زانغ كي الذين يرتدون البذلة الصينية السوداء عند استلامهم الجوائز في مهرجانات الأفلام الدولية. (الصورة 5-4)

وقد تم إطلاق بعض النسخ الأصلية للبذلة الصينية خلال السنوات الأخيرة، حيث يحتوي بعضها تطريزاً على شكل تنين أو عنقاء أو أزهار برقوق أو خيزران أو شطرنج أو عود أو خط أو رسوم. وبعضها مصنوع من أقمشة مطبوعة، فيما بعضها الآخر مصنوع بخياطة أقمشة ذات ألوان مختلفة، ولكنها جميعها أضافت ألواناً أنيقة للملابس التقليدية. ومع انتشار الملابس ذات الطراز الصيني في دوائر الأزياء الدولية، بدأت بعض العلامات التجارية الشهيرة عالمياً بتصميم نسختها من البذلات الصينية، حيث أطلقت أرماني نسخة معدلة من البذلة الصينية، وأرماني مشهورة في مدن الأزياء كميلان وباريس وطوكيو ونيويورك.



الصورة 5-4 أعضاء أكاديمية السفر الصغيرة

تمت إقامة معرض «مغامرات أكاديمية السفر الصغيرة» من قبل جامعة شيا مين. وتتكون الأكاديمية من فنانين من آيسلنده وهما سلوغ ثورلاسيوس وفينور آرنار وأولادهما الأربعة، وجميعهم يرتدون البذلة الصينية ويلتقطون صوراً بالأزياء الصينية.

الجمال الشرقي - تشونغ سام

رأى معظم الناس تشونغ سام لأول مرة في الأفلام التي تم إنتاجها خلال جمهورية الصين في بداية القرن العشرين، حيث ظهرت السيدات الأنيقات في تلك الأفلام بكامل أبهتهن؛ وهن يرتدين تشونغ سام ويبدون كزهرة أنيقة في مزهرية من البورسلان. فبالنسبة لمعظم الصينيين، لا شيء يظهر السحر الأخّاذ للنساء الشرقيات أكثر من تشونغ سام. (الصورة 5-5)

وتجسد الياقة المنتصبة لتشونغ سام بتصميمها اللولبي من قطعة واحدة الجمال الهادئ الذي يتطابق مع معايير الجمال الكونفوشيوسية التقليدية المتمثلة بالانسجام بين الرجل والطبيعة، كما يتناسب مع المزايا الصينية المتمثلة بالمحافظة والاعتدال. ولهذا، يحب الكثيرون تشونغ سام. وبالإضافة إلى ذلك، تخلق الكثير من الأشكال المطرزة أو المزخرفة لتشونغ سام لوحة فنية تلهم مخيلة الناس، كما يجسد تشونغ سام الجمال الشرقي الأنيق وقديم الطراز. (الصورة 5-6)



الصورة 5-5 عارضات أزياء من فترة جمهورية الصين في شنغهاي

في بداية مرحلة جمهورية الصين، استمر الطراز التقليدي المتمثل بقطعة ملابس علوية مع تنورة سفلية للنساء. ويعود سبب ذلك إلى تحديد الحكومة لذلك الثوب كثوب احتفالي وطني. ولكن، مع تزايد التأثير الغربي في الشرق تدريجياً، بدأت العديد من النساء المتحضرات بارتداء «الأثواب الغربية» المتأثرة بأسلوب الحياة الغربي.





الصورة 5-6 نساء يتمتعن بالمشاهد في أحد المنتزهات في بداية صيف عام 1939 في شيا مين في فو جيان

أكبر تغيير طرأ على تشونغ سام خلال جمهورية الصين هو تضييق الخصر لإظهار انحناءات جسد المرأة، واتباع المثل الجمالية والعادات الشرقية المتمثلة بالبساطة والأناقة والمحافظة. وبعد عام 1929، حين حدّدت الحكومة تشونغ سام كثوب احتفالي وطني أصبح أشهر ثوب للنساء.

وتشونغ سام الحديث نسخة معدلة عن أول التصاميم، حيث كان في البداية يشير إلى الثوب الطويل الذي ترتديه نساء المانشو؛ إذ كان حكام سلالة تشينغ من المانشو، وهي قومية صغيرة من الشمال. وفي ذلك الحين، كان تشونغ سام عريضاً ويصل طوله إلى الكاحل ومصنوعاً من مواد خشنة، كما كان مقصوصاً بخط مستقيم. ويمكن لمثل هذا الثوب إخفاء جميع الانحناءات في جسم المرأة (كالصدر والخصر والردفين) بما يتطابق مع معايير الجمال الصينية التقليدية. وخلال عهد سلالة تشينغ، انتشرت الياقة المتموجة وعليها قماش مخرم، كما تتم تغطية الكمين وثنية الياقة وأحياناً الثوب بكامله بالأشكال المطرزة، لكن النساء العاديات لم يكن



الصورة 5-7 نساء شابات متزوجات من عائلات ثرية، في أواخر عهد سلالة تشينغ

تدعى الملابس التقليدية التي ترتديها نساء المانشو ملابس مانشو. وهي مصنوعة بقصات مستقيمة مع فتحة على كل من الجانبين. ولا توجد سوى انحرافات بسيطة بين مقاسات الصدر والخصر والردفين مع ياقة عالية، وعلى الياقة والكمين هناك زينة بان غون مطرزة تعود إلى أواخر عهد سلالة تشينغ؛ مما يشير إلى الحواف المخرمة والأنيقة.

بإمكانهن شراء تشونغ سام الغني بالتطريز، لذا كانت هذه الأثواب محصورة بالبلاط الملكي وسيدات المجتمع. (الصورة 5-7)

وفي عام 1929، أعلنت حكومة جمهورية الصين أن تشونغ سام هو الثوب الوطني. وحينها، كان لتشونغ سام الكثير من الزينة، فأصبح تصميمه بسيطاً وارتداؤه عملياً ومنتشراً بكثرة.

وقد تمتع تشونغ سام بالشهرة خلال الفترات الذهبية الممتدة في الثلاثينيات والأربعينيات؛ وخاصة حول شنغهاي، مما أدى إلى دعوته تشونغ سام شنغهاي.





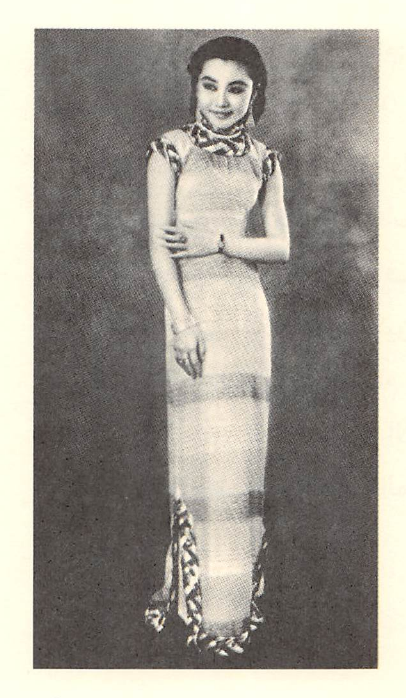
الصورة 5-8 إعلان لنبيذ مستورد خلال جمهورية الصين

تتمتع المرأة التي تظهر في الإعلان بجسد أنيق وابتسامة ساحرة، ولها شعر قصير مصفف، كما أنها ترتدي تشونغ سام ضيقاً وتنتعل حذاء ذا كعب عالٍ فتبدو مغرية وفاتنة.

الصورة 5-9 ملصق إعلان لأسطوانة موسيقية شهيرة تتضمن أغاني جميلة يعود إلى جمهورية الصين

سجّلت ملصقات الإعلانات في شنغهاي الحياة خلال جمهورية الصين، حيث عرضت بشكل أساسي الملابس الأنيقة التي ترتديها نساء جميلات. وبإظهار الحياة الاجتماعية للنساء العصريات، كان من الواضح أن تقدم المجتمع قد حسّن المكانة الاجتماعية للنساء. وتقدّم الملصقات سجلاً مهماً للتغيرات الاجتماعية.

وبفضل التأثير الغربي، تغيّر طراز تشونغ سام وشكله، حيث تم استبدال طريقة القص الشرقية بخطوط ثنيات على الكتفين والصدر والخصر، لتُبرز هذه التغييرات انحناءات الجسم وتؤدي إلى طراز غربي صيني لتشونغ سام. وقد كانت شنغهاي مركز الأزياء الآسيوية في ذلك الحين، كما كانت «الأميال العشرة من العلامات التجارية الأجنبية» في شنغهاي القديمة جنة تجتمع فيها نخبة المجتمع؛ حيث



الصورة 5-10 إن تشونغ سام العصري يجعل الفتيات أكثر جمالاً وسحراً

تبنّى تشونغ سام المعدَّل قصّات وتصاميم غربية أكثر؛ حيث بدا أكثر نحولاً، وتناسب مع قصّات ملابس النساء الشائعة في أوروبا خلال ذلك الوقت.

يتم استيراد الأقمشة الأجنبية إلى شنغهاي بكميات ضخمة، ووضعت الصحف والمجلات زوايا مخصصة لأخبار الأزياء من خارج البلاد. وقد زيّنت إعلانات الأزياء وصور الفتيات الجميلات اللاتي يرتدين تشونغ سام جدران الشوارع الرئيسة والممرات الصغيرة. (الصورة 5-8) (الصورة 5-9)

تطوّر الكثير من الأشكال الجديدة لتشونغ سام في ذلك الحين؛ إذ يمكن أن تكون الياقة مرتفعة أو منخفضة، والكمان طويلين أو قصيرين، كما تغير ارتفاع الشق الجانبي وفقاً لآخر الصيحات. لكن وبغض النظر عن كيفية تعديل الثوب، إن مزاياه الرئيسة تبقى نفسها: ياقة عالية، وأزرار معقوفة على اليمين، وشق في الحاشية السفلية على كل من الجانبين، وخصر ضيق لإبراز انحناءات الجسد. وتدريجياً، أصبحت النسخة المعدلة من تشونغ سام التي تدمج الطراز الشرقي والغربي زياً قياسياً للنساء في أنحاء الصين الحديثة كافة. (الصورة 5-10)

وبعد تأسيس الصين الحديثة عام 1949، تلاشى عصر الراحة والرقي الذي مثّله تشونغ سام. وفي نهاية القرن العشرين، بدأ الناس بالاهتمام بالثوب مجدداً؛ إذ كان زياً يُظهِر جسد المرأة ويجسِّد طراز المرأة الشرقية. فقام بعض مصممي الأزياء الدوليين بإيجاد نسخ عن تشونغ سام ليساعدوا في صعوده المنصة الدولية. وفي عام 1998، أطلق مصمم ديور جون غاليانو سلسلة من الأثواب المستوحاة من تشونغ سان شنغهاي. وخلال عروض أزياء الخريف والشتاء في باريس، تم التركيز

على المزايا المذهلة لتشونغ سام: القصة الضيقة، والياقة العالية، والشق العالي على كل من الجانبين. (الصورة 5-11)

وفي بداية القرن الحادي والعشرين، ارتدى الكثير من النجوم الصينيين والأجانب تشونغ سام لحضور المناسبات الدولية، كما ارتدت النساء الشابات تشونغ سام بطراز خاص في حفلات الزفاف والاجتماعات الرسمية الأخرى. ومع تركز عيون العالم على الصين خلال دورة بكين للألعاب الأولمبية عام 2008، ارتدت الشابات عند تقديم الميداليات تشونغ سام جميلاً بخمسة ألوان: الأزرق والأبيض أو الأزرق الياقوتي أو الأخضر أو الأبيض أو الأحمر الوردي؛ حيث أثارت تلك الأثواب إعجاب الحشود في الأولمبياد وإعجاب المليارات من متابعي التلفاز حول العالم. (الصورة 5-12)

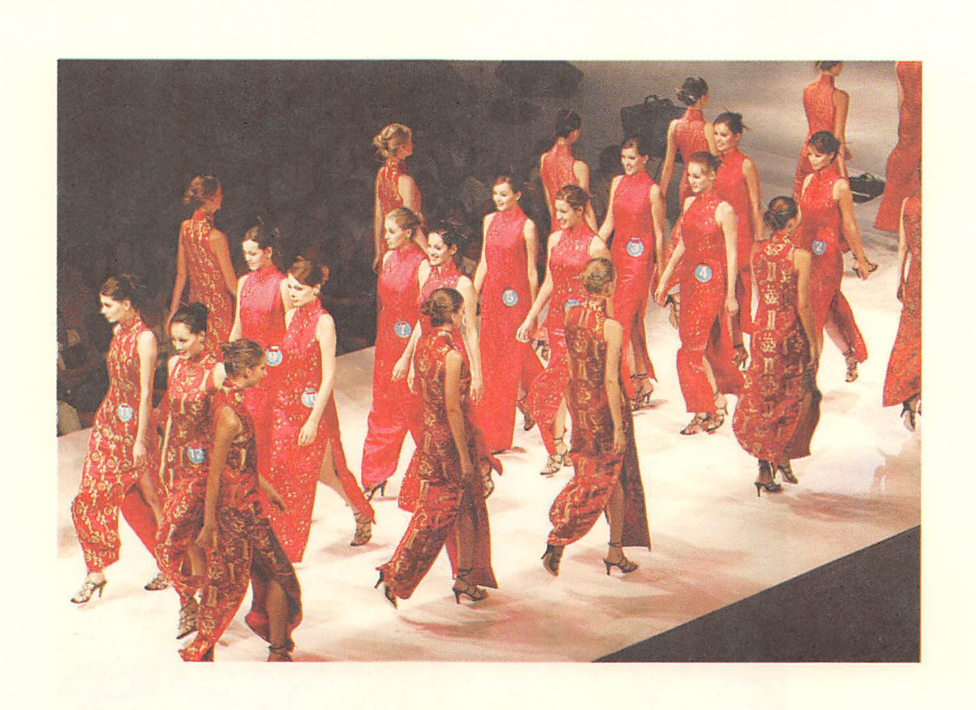
الصورة 5-11 (في الأعلى) نساء كبيرات ومتوسطات في السن يرتدين تشونغ سام جميل ويمشين في مسيرة سو في هانغ زو

كان هناك تناقص في عدد النساء اللاتي يرتدين تشونغ سام بعد تأسيس الصين الحديثة، لكن الناس حرروا أنفسهم تدريجياً من الأفكار القديمة بعد الإصلاح والانفتاح، وسرعان ما امتلأت خزائن النساء المهتمات بالجمال بتشونغ سام أنيق.

الصورة 5-12 السحر الكلاسيكي لتشونغ سام الصيني في معرض دولي

بما أن النساء العصريات يرغبن في أن يظهرن طويلات ونحيلات، من غير المفاجئ أن يعود تشونغ سام ويجذب الاهتمام الدولي؛ حيث أطلق العديد من كبار مصممي الأزياء الأجانب نسختهم من تشونغ سام التي وضعت الثوب الصيني التقليدي على المنصة العالمية بقوة.







| كاتيوشا ضفة النهر: بيرا غي

مع تأسيس الصين الحديثة عام 1949 غيَّر الناس طراز ملابسهم، حيث ذهبت الملابس الغربية والأحذية الجلدية وتشونغ سام المطرز إلى مزبلة التاريخ، وفضّل الناس الملابس المصنوعة من القطن الطبيعي والحرير التقليدي، وارتدى الرجال ملابس عسكرية رخيصة الثمن ومصنوعة من قماش خشن وزياً رمادياً ومعطفاً من النايلون الأزرق، في حين اختارت النساء ثوباً مطبوعاً يدعى بيراغي؛ وهي كلمة روسية معناها «ثوب». وكان بيراغي يمثل الاندماج التام بين الجمال والعملية، وهو بسيط ومريح. (الصورة 5-13)

الصورة 5-13 نساء يعملن بأثواب بيراغي عليها رسوم أزهار في بكين عام 1956

كان بيراغي هو المفضل لدى النساء الصينيات في الخمسينيات، وخاصة لأولئك اللاتي يشاركن في رقصات عطلة نهاية الأسبوع التي كانت شائعة في المدن الصينية في تلك الأيام، وتشكّل الآن ذكرى محببة بالنسبة للكثير من الناس.



وبشكل عام، إن الملابس التقليدية الصينية فيها ثوبان؛ واحد علوي والآخر سفلي. لكن شي ني كان حالة استثنائية لتلك القاعدة. فهو ثوب تستطيع النساء والرجال ارتداءه، وهو مختلف عن الأثواب العصرية ببعض التفاصيل فقط. ولم تنتشر الأثواب ذات الطراز الغربي في الصين إلا في القرن العشرين. ففي عام 1920 ارتدت النساء الملابس الغربية للاستخدام اليومي، في حين تبنت الطالبات خارج البلاد والنساء في الدوائر الأدبية والفنية الملابس الغربية. وبحلول الثلاثينيات، اكتسبت الأثواب الغربية شهرة واسعة، حيث تميز الثوب من قطعة واحدة بقطعة علوية موصولة بتنورة سفلية. ومعظم الفساتين فيها أزرار مرتبة بشكل مستقيم من الأمام، فيما لبعضها أزرار من الخلف. ويمكن أن يكون الكمان طويلين أو قصيرين، وهناك العديد من أشكال الياقة؛ كالياقة المستطيلة والمربعة والمدورة وذات الشريط والمقوسة والمستقيمة والمنخفضة وعلى شكل U وV، أما التنورة السفلية فعريضة جداً. (الصورة 14-5)



الصورة 14-5 سيدة ترتدي ثوباً صيفياً بطراز غربي في الثلاثينات

خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات، بدأت النساء الشابات اللاتي يدرسن خارج البلاد والنساء الأكبر سناً من الدوائر الأدبية والفنية بارتداء أثواب ذات طراز غربي. وقد كانت تلك الأثواب تتميز في تلك الأحيان بمقدمة عليها أزرار، وبخصر ضيق، أو بوجود حزام يظهر الخصر النحيل. وتظهر تلك الأثواب الأناقة الساحرة للنساء الجميلات.





الصورة 5-15 مجموعة من العمال المثقفين من مقاطعة وين زو في زي جيانغ عام 1986

على الرغم من أنه في فترة الثمانينيات حصل إصلاح وانفتاح، إلا أن معظم الناس ظلوا يرتدون ملابس محافظة كما يبدو واضحاً في هذه الصورة. إذ يرتدي الرجال قمصاناً بلون واحد وسروالاً طويلاً، أما السيدات الشابات فيرتدين أثواباً من قطعة واحدة. وقد كانت الأثواب بسيطة التصميم، وتبدو حسنة المظهر، وألوانها بهيجة وأنيقة. كما كانت مصنوعة من القطن الطبيعي؛ مما يمنح مرتدياتها مظهراً جميلاً ومهيباً.

وهناك نوعان من الأردية؛ واحد يجمع بين القطعة العلوية والتنورة ويتصف بخصر عالٍ أو منخفض أو متوسط حسب المكان الذي يوضع فيه الحزام، أما الآخر فالقطعتان العلوية والسفلية فيه موصولتان عند الخصر وضيقتان؛ لإظهار انحناءات الجذع والخصر والردفين. (الصورة 5-15)

وقد كان بيراغي ثوباً من الصنف الأول؛ الكمّان على شكل فقاعتين، أما الخصر

فمثني ومشدود بحزام قماشي، والتنورة حاشيتها عريضة، والياقة مستديرة أو مربعة، وبعض هذه الأثواب ليس له ياقة. وكان هذا الثوب يُصنَع من القطن الخالص، مع حواشٍ من القماش المخرم وأشرطة زينة وعقد أنشوطية.

وفي الغرب، يتم ارتداء الأثواب لوقت أطول بكثير مما يحصل في الصين. فأولى النسخ الغربية ارتداها المصريون القدماء واليونانيون القدماء وشعوب الهلال الخصيب. وهي تتكون من قطعة ملابس علوية موصولة بتنورة سفلية. وكانت معظم الأثواب الغربية مؤلفة من قطعة واحدة. لكن خلال عصر النهضة، حين ظهرت الحركة الإنسانية المتمثلة بإحياء الأدب الكلاسيكي تم التركيز على المساواة وتحرر الشخصية، ارتدت النساء مشداً للصدر وتنورة سفلية كبيرة لإبراز انحناءات أجسادهن والتركيز على اللمسة الأنثوية. (الصورة 5-16) (الصورة 5-17)



الصورة 5-16 امرأة إيطالية ترتدي تنورة كبيرة خلال عصر النهضة

كانت التنورة السفلية الكبيرة تتمتع بشعبية كبيرة في إيطاليا خلال عصر النهضة؛ حين كانت النساء ذوات الوجوه الجميلة يعتبرن جميلات. وقد بالغت تلك الأثواب في تضييق حجم الخصر، وجعلت النساء يبدون أكثر طولاً ونحولاً وهن ينتعلن أحذية ذات كعب خشبي عالٍ، والتي كانت شائعة حينها.

وقد تم إجراء تغييرات جذرية لزي النساء في بداية القرن العشرين؛ وذلك حين صمَّم المصمم الفرنسي بول بواريه ثوباً من قطعة واحدة



الصورة 5-17 نساء يرتدين ملابس النبلاء الروس

كان الغربيون القدماء يقدرون الخصر النحيل، لذا كانت النساء يرتدين مشداً للخصر؛ ولو كان ذلك على حساب إيذائهن صحتهن. وكانت الملابس حينها تُظهِر الملامح الأنثوية المميزة، كما تم استخدام مجموعة متنوعة من الثنيات والحواشي من القماش المخرم وشرائط الحرير لصناعة الأثواب الفخمة والرومنسية والبراقة على الطراز الغربي.

بسيطاً ومريحاً وطبيعياً، وظلّ ذلك الثوب شائعاً حتى الحرب العالمية الأولى، حيث شاركت المزيد من النساء في العمل الاجتماعي بعد الحرب، وازداد تنوع ملابس النساء بشكل كبير. وصارت الأثواب المؤلفة من قطعة واحدة هي اللباس الرسمي، كما بقي الثوب المؤلف من قطعة واحدة شائعاً، واعتبرته الكثير من النساء الطراز الأفضل.

| الجينز الأنيق

لصناعة الأفلام في هوليوود علاقة كبيرة بتزايد انتشار الجينز عبر العالم. ففي الأفلام الغربية الشهيرة التي تم إطلاقها خلال فترة الخمسينيات مثل «شرق عدن» و«ثوار بدون قضية» للنجم جيمس دين، ارتدت الكثير من الشخصيات الجينز الأزرق؛ مما ترك أثراً عميقاً لدى الجماهير. وبفضل إلهام نجوم الأفلام في الولايات المتحدة، بدأ الناس ينظرون إلى الجينز كسروال أنيق بدلاً من ملابس العمل التي كان يرتديها رعاة البقر وعمال المصانع؛ ومن هنا نشأ الجينز. (الصورة 5-18)

الصورة 5-18 رعاة بقر يسمون أبقاراً في منتزه ييلو ستون الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1971

تم وصف راعي البقر بأنه «بطل على صهوة حصان». ومع انتقال الأمريكيين غرباً من المستعمرات الأولى على الساحل الشرقي، عمل رعاة البقر كعمال نشيطين ودهاة وجريئين وشجعان وقادرين على تحمل المشاق ومليئين بروح الريادة. وتُظهِر الصورة التقليدية رعاة البقر وكل منهم يعتمر قبعة على الطراز المكسيكي، ويرتدي سروالاً من الجينز وسترة جينز قصيرة وضيقة فيها العديد من الجيوب وذات كمّين ضيقين، ويضع منديلاً كبيراً ذا ألوان مشرقة، وينتعل حذاء جلدياً عالياً.







الصورة 5-19 جينز

مع الكثير من البحث والتطوير، خضع الجينز لتعديلات مستمرة. فبالإضافة للجينز التقليدي كحلي اللون، ظهر الجينز ذو اللون الأزرق الفاتح والملطخ، كما تم وضع قطع حديدية أو جلدية على بعض سراويل الجينز كنوع من الزينة. والآن، يمكنك رؤية مجموعة هائلة من الأشكال في شوارع الصين.

وفي أواخر أربعينيات القرن التاسع عشر، كان هناك اندفاع كبير للبحث عن الذهب في كاليفورنيا، ثم انتشر بسرعة عبر البلاد. وفي ذلك الحين، غادر ألماني شاب يدعى ليفاي ستروس بلدته الأم وانتقل إلى أمريكا، حيث افتتح متجراً في سان فرانسيسكو. لكنه سرعان ما سمع تذمر الباحثين عن الذهب من أن ملابسهم القطنية لم تعد تحتمل العمل المضني والشاق في العراء. وفي أحد الأيام، خرج ستروس للمشي، فرأى خيمة بعيدة منصوبة في الشمس وجاءه إلهام مفاجئ؛ إذ إن الخيمة تتعرض للرياح والشمس والأمطار ولكنها لا تتضرر وتبقى قوية كالعادة، لذا إن صُنِعت السراويل من القماش نفسه فستصبح أكثر قدرة على احتمال العمل المضني. وفي النهاية، فكّر ستروس في استخدام أقوى قماش يُستخدم في صنع

الخيام التي يعيش فيها الباحثون عن ذهب، وسرعان ما اكتسبت تلك السراويل العملية وزهيدة الثمن شعبية كبيرة في وسط غرب الولايات المتحدة بين رعاة البقر والمزارعين وعمال المصانع، وتم اعتبار ليفاي مبتكراً للجينز. (الصورة 5-19)

وبفضل التأثير الكبير لموسيقى الروك وطراز حياة الهيبي على الشباب خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، أصبح الجينز من أشهر الأزياء في عالم الموضة في الولايات المتحدة، ثم انتشر تدريجياً إلى باقي أنحاء العالم؛ حيث بدأ الناس من الطبقات العليا في المجتمع كأميرة بريطانيا آن وملك الأردن عبد الله الحسين ورئيس فرنسا السابق جورج بومبيدو بارتداء الجينز، كما ارتدى رئيس الولايات المتحدة السابق جيمي كارتر الجينز خلال حملة سياسية. ومع مرور الوقت، أصبح الجينز السميك من أحدث صيحات الأزياء، كما أصبح الجينز في الولايات المتحدة رمزاً للاستقلال والحرية والثورة؛ إذ فضل الناس بدءاً من رئيس الدولة إلى الناس العاديين ارتداء الجينز.



الصورة 5-20 نساء شابات من الريف عثرن على وظائف كعاملات مهاجرات في شنغهاي عام 2007

معظم الصينيين يقتنون حالياً بضعة سراويل من الجينز في خزائنهم؛ إذ يظهر الجينز الأجساد الشابة ويجعلها تبدو أنيقة وجذابة. وقد انتشر الجينز في أنحاء الصين كافة؛ من الريف إلى المدن الكبيرة.





الصورة 5-21 عرض أزياء لملابس الجينز

لم يعد ارتداء الجينز حكراً على رعاة البقر وعمال المصانع فحسب، وإنما صار يظهر في عروض الأزياء العالمية. ولإظهار الانحناءات الرقيقة والجذابة في جسد المرأة، ابتكر المصممون أشكالاً جديدة للجينز يتم ارتداؤها حالياً في الشوارع وفي المناسبات المهمة.

وقد أصبح تنوع أشكال الجينز وتنوع أقمشته وألوانه أكثر غنى على مر العقود. والآن، صار بالإمكان ارتداء الجينز مع معظم الملابس الأخرى. (الصورة 5-20)

وبعد دمج أقمشة مرنة جديدة مع قماش الجينز الأصلي، أصبح بإمكان الجينز إظهار الجسد نحيلاً. ومع تقنيات التصنيع الحديثة، صار من الممكن تشكيله بالشكل المطلوب، كما تم تطوير ملابس الجينز الأخرى كالصدرة والسترة والثوب من قطعة واحدة والتنورة القصيرة والسروال القصير. (الصورة 5-21)

وقد ظهر الجينز لأول مرة في الصين خلال أواخر 1970، أي بعد العقد الكارثي للثورة الثقافية. وذلك حين ارتدى الناس الملابس السوداء والزرقاء والرمادية. وقد رفض الكثير من قادة المجتمع الجينز لأنهم اعتبروه موروثاً من الدول الرأسمالية، وظنوا أنه سيكون مؤذياً للأخلاق العامة والتطور الطبيعي للشباب. وقد نظر بعض قادة المدارس إلى الجينز باعتباره «سروالاً غريباً»، ومنعوا المدرسين والطلاب من ارتدائه. ومع تزايد التبادل الدولي بعد الإصلاح والانفتاح، أصبح الناس أحراراً من الأفكار الجديدة والقمع الذي فرضته الثورة الثقافية، كما أصبح الجينز يمثّل شيئاً جديداً للناس، وخاصة الشباب الذين كانوا مستعدين لتقبل الأشياء الجديدة. وقد كان الشباب هم الصينيين الأوائل الذين ارتدوا الجينز.



الصورة 5-22 الجينز الشهير عالمياً

الجينز الحديث مصنوع حالياً من الكثير من الأقمشة المختلفة، وبمجموعة غنية من الألوان. ويمكن أن يكون الجينز سروالاً ذا ساق مستقيمة، أو سروالاً بثلاثة أرباع أو تنورة. ويرتدي جميع الناس ملابس جينز متنوعة في جميع المناسبات. ويعبّر الجينز عن مزاج الأنثى العاشقة، وتحبه النساء العصريات؛ حتى إنه أصبح المفضل لديهنّ على مر الزمان.

واليوم في القرن الجديد، يرتدي الناس في أنحاء الصين كافة الجينز. ومن الأسباب التي تجعل الملابس التي تمثّل الثقافة الغربية شائعة في الصين سعرها المنخفض، ومتانتها، والدور الذي تؤديه في صيحات الأزياء العصرية. ومع تعلق الناس بالأنشطة الترفيهية في الهواء الطلق، أصبحت ملابسهم أقل رسمية، والجينز هو الخيار الأفضل والأسهل والأرخص، كما أن الأشكال والألوان والأقمشة المستخدمة في الجينز كل عام تتأثر بصيحات الأزياء العالمية والتطريز الصيني الكلاسيكي؛ مما يغني الجينز وخزائن الناس ويخلق أسطورة «الجينز الرائع» في العالم بأسره. (الصورة 5-22)



الملبوسات
والإكسسوارات الصينية

الفصل السادس

ضفة النهر: أزياء وإكسسوارات
الأقليات العرقية

أزياء الأقليات العرقية في الشمال وإكسسواراتها

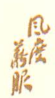
بالإضافة إلى قومية الهان، توجد 55 قومية أخرى في الصين لكل منها ملابسها التقليدية التي تميز ثقافتها عن الأقليات الأخرى كشعار لها. (الصورة 6-1)

بسبب الظروف المناخية والجغرافية المختلفة، تعيش الأقليات العرقية بشكل عام في شمال البلاد أو جنوبها. ويضم الشمال شعوب المنغول والمان والكوريين

الصورة 6-1 الموظفون في متحف مانشو التابع لحديقة الثقافة العرقية الصينية في بكين يرتدون ملابس وإكسسوارات للأقليات العرقية

توجد 56 مجموعة عرقية في الصين، ولكل منها ملابس تقليدية خاصة بها. فالأشخاص ذوو الابتسامة المشرقة في الصورة يرتدون إكسسوارات وملابس تقليدية زاهية الألوان تعود لأقليات مثل شعب المياو والباي والداي وبويي.





الصورة 6-2 إكسسوارات وملابس التبت التقليدية في معرض مهرجان سكان التبت للفنون، مقاطعة يوشو المستقلة للتبتيين في شنغهاي

الفتيات في الصورة تعلو رؤوسهن ضفائر شعرهن الكثيفة المزينة بالحلي، وإحدى هذه الحلي أسطوانة فضية توضع في أعلى الرأس، وتعلوها ضفائر حمراء مزينة بخرز مرجاني وأحجار الفيروز، وفي المنتصف حجر كبير من العقيق الأحمر، بالإضافة إلى شرائط من الأحجار الكريمة الثمينة جداً تثبت على الشعر.

والهوي والدور والإيفنك والأولنشن والهزهن والأويغور والكازاخ، بينما يضم الجنوب شعوب المياو واليي والزهوانغ والتبتيين والياو والدونغ والباي والداي. (الصورة 6-2)

وبسبب المناخ البارد، يعتمد سكان الشمال كثيراً في كسب معيشتهم على الاقتصاد المبني على الحيوانات عن طريق الصيد وصيد الأسماك. وبما أنهم يغيّرون



الصورة 6-3 ملابس التبتيين

أغلب التبتيين يعيشون في تبت وشنغهاي وقانسو وسيشوان ويونان، وتتميز ملابسهم بالخصر الفضفاض والأكمام الطويلة والفتحات الجانبية، ويتصف هذا النوع من الثياب الطويلة بأنه واسع بما يكفي لجعل الذراعين تمتدان بسهولة، مما يمكّن مرتدي هذا النوع من الثياب من خلع الكم ليشعر بالبرودة في الأيام الحارة، كما يمكنه أيضاً استخدام الثوب كغطاء ليلاً.

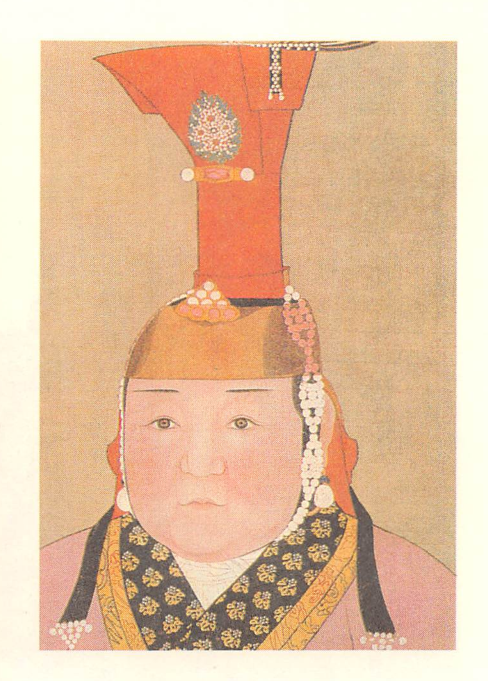
غالباً مكان إقامتهم، فهم لا يميلون إلى امتلاك بيئة سكن مستقرة. لذلك، وبسبب نمط الحياة هذا، كان من الضروري أن تناسب ملابسهم حياتهم على ظهر الخيل وتتميز بمقاومة البرد. وتظهر ملابسهم بشكل أساسي كأثواب ثقيلة وسميكة، وسراويل طويلة بأقل قدر من الزينة. ولا تزال الأثواب الطويلة منتشرة بين الأقليات القاطنة في المناطق القاسية مثل المنغول ومان وهزهي وتو ودور وإيفنك وأولنشون ويوغو. ويعتبر الثوب المبطن بالفرو أو الثوب المحشو بالقطن أو الثوب المبطن البسيط أفضل الأثواب للحياة في المراعي؛ فغالباً ما يرتدي التبتيون الذين يفضلون حياة الترحال أثواباً مبطنة بالفرو عليها أزرار في الجانب الأيمن ويورين (ياقة طرفها الأيسر فوق الأيمن)، وهي ذات أكمام طويلة وخصر فضفاض وبدون جيوب، وإنما بشقين عموديين على الجانبين. وغالباً، ينزع التبتيون أحد الكمين لكشف الذراع اليمنى من أجل القيام بالنشاطات بسهولة أكبر، وأحياناً يخرجون الذراعين ويطوون الكمين على الخصر. (الصورة 6-3)

الصورة 6-4 العائلات المنغولية

تأتي الأثواب المنغولية بألوان متعددة، ويفضِّل الرجال اللون الأزرق واللون البني، بينما تحب النساء اللون الأحمر والوردي والأخضر والسماوي. كما أن الأثواب المنغولية في الصيف تكون فاتحة؛ مثل ألوان الأزرق والأخضر والوردي والأبيض الفاتحة والألوان الأخرى. فالمنغوليون يعتقدون أن اللون الأزرق يرمز إلى الخلود والإخلاص والوفاء؛ وهو اللون الذي يمثل القومية المنغولية، بينما يبدو اللون الأحمر كالشمس والنار اللتين تجلبان الدفء والسطوع والفرح، أما اللون الأبيض فهو اللون الأكثر قدسية ويستخدم في الحفلات والمهرجانات.

كما أن المنغوليين من كل الأعمار ومن الجنسين مغرمون بارتداء الأثواب الطويلة على مدار السنة، وتصمم الأثواب المنغولية على نحو فضفاض لتلائم الرجال، أما ملابس النساء فضيقة. (الصورة 6-4)

ويتناسب ثوب المرأة مع القبعة التقليدية غوغو غوان وليان شو وغطاء الشعر؛ حيث إن قبعة غوغو غوان قد حازت على شعبية بين النساء النبيلات منذ مملكة يوان، أي منذ أكثر من 2000 سنة. وهي عادة على شكل أسطوانة طويلة





الصورة 6-5 الأباطرة والملكات من المملكات السابقة من المجموعة القديمة في معبد نانكسون. وتُظهِر هذه الصوة ملكة تعتمر قبعة غوغو غوان، وترتدي ثوباً من القطن المطرز بالخيوط الذهبية وله ياقة متقاطعة

تعني كلمة «غوغو غوان» باللغة المنغولية البرج الأسود، وهي زينة فخمة غنية بالذوق الوطني. يبلغ ارتفاع هذا الإكليل الذي صنع إطاره من لحاء شجر القضبان - وهو أسطواني الشكل - 30 سم، وأعلاه مصمم على شكل مستطيل مغطى بنسيج الأطلس المزين بالجواهر والكهرمان والخرز ورقائق من الأحجار الكريمة وريش الطاووس والريش الجميل.

يبلغ ارتفاعها بين 20 و30 سم، ومبنية على قاعدة هيكل مصنوع من لحاء نبات القضبان ومغطاة بنسيج أطلس ملون ومزين بالمجوهرات وأنواع الزينة الأخرى، وأحد أنواع الزينة هذه عصا خشبية يبلغ ارتفاعها 10 سم تقريباً مثبتة في أعلى الإكليل ومتصلة بالريش. وتعتبر ليان شوي زينة مرصعة بالمجوهرات على ضفيرتين على جانبي وجه المرأة المتزوجة. وقد تكون مستوية أو على شكل قلب ومخاطة بالقماش ومتصلة بالكم المجدول الأسود الطويل تحتها، حيث توجد أشكال أزهار أو زينة ذهبية وفضية، والعديد من اللآلئ الذهبية والفضية والأحجار الكريمة مثل العقيق والمرجان. (الصورة 6-5)



الصورة 6-6 نساء الهزهن في لباسهن في مهرجان شمال شرق الصين في 7 حزيران 2009

تتضمن قومية الهزهن 5000 شخص فقط، وهم الذين عاشوا لأجيال في المناطق قرب أنهار ووسولي وسونغ هوا وهيلونغ جيانغ، كما أنهم الشعب الوحيد في العالم الذي يستخدم جلد السمك لصنع الملابس، ولذلك يدعون «قبيلة جلد السمك».

وتعتبر قومية الهزهن الأقلية العرقية الوحيدة التي تعيش على صيد السمك في الصين، ولذلك تاريخها طويل في ارتداء الملابس المميزة وغير المألوفة المصنوعة من جلد السمك. فجلد السلمون سميك وخشن مما يسمح للناس بمعالجته في الشمس وقشره ثم دقه بمطرقة خشبية على قاع خشبي مقعر لجعله ناعماً كقطعة قماش، ويتم وصل عدة جلود مع بعضها لصنع قطعة نسيج كبيرة تقطع إلى قطع ملابس، ثم تخاط معاً باستعمال أوتار الظبي أو الغزال لصنع الأثواب. وتطرّز أشكال على طيات الصدر، وأطراف الأكمام، وحاشية الثوب السفلى. وبما أن لون جلد ظهر السلمون داكن، بينما لون البطن أفتح، فإن تأثير فرق اللونين يعطي مظهراً جذاباً. وتعتبر



الصورة 6-7 الملابس والقبعات المزركشة بالأزهار التي ترتديها نساء الأويغور

يعشق رجال شعب الأويغور ونساؤه اعتمار قلنسوات وقبعات مزركشة بالأزهار تتبدل ألوانها ونماذجها باستمرار من منطقة لأخرى. وتتضمن قبعاتهم المشهورة القبعات ذات شكل اللوزة للرجال والتي لديها أزهار بيضاء على خلفية سوداء، أما قبعات النساء الطشقندية فملونة بألوان زاهية كالأزهار المزخرفة.

الملابس المصنوعة من جلد السمك متينة ومقاومة للماء ودافئة، وقد بقيت شائعة بين شعب الهزهن لأنها لا تتعفن، وهي جيدة لارتدائها في الطقس البارد. (الصورة 6-6)

وقد عاش شعب الأويغور الذي يدعى أيضاً هويهو في سلالة تانغ لفترة طويلة في جنوب جبال تيان شان، وتعكس ملابسه الوطنية العديد من الملامح الجغرافية. فبسبب نمط حياة الصيد الذي يعتمد على الترحال، ينتعل سكان الأويغور يوتوكي (جزمة) مصنوعة من جلد البقر أو جلد الغنم ومطرزة بنماذج أزهار، كما يحب الأويغور اعتمار قبعات مزركشة بالأزهار، تعكس الصنعة المتقنة والزينة الغنية التي تختلف من منطقة إلى أخرى. (الصورة 6-7)

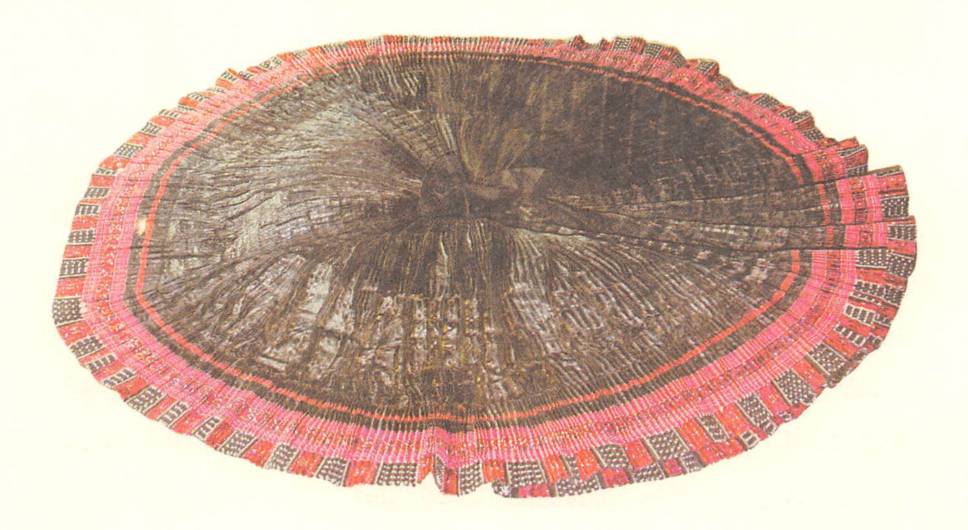


على سبيل المثال، قبعات الرجال المزركشة بالأزهار في مقاطعة كاشغر مزينة بشكل أساسي بالأزهار البيضاء على خلفية سوداء، بينما القبعات في منطقة هيتيان وكوكا مصنوعة من المخمل عالي الجودة ومطرزة بأشكال محاكة، كما أن القبعات في مقاطعة توربان ملونة على نحو جميل بأزهار قرمزية غريبة غالباً وتلائم اللون الأخضر الزمردي، وتتصف القبعات في مقاطعة لي بالبساطة والأناقة والرقة. أما قبعات ماير فمعروفة بزينتها المنمقة والمنسقة على شكل نقاط مبعثرة تنتجها طريقة اللف للتخصيل؛ مما يجعلها تبدو كسجادة. وتلبس هذه القبعة المزركشة بالأزهار على جانب الرأس، مما يجعلها من قطع الملابس المثالية عندما يغني سكان أويغور ويرقصون.

وتعيش أغلب الأقليات العرقية في الجنوب في منطقة شبه استوائية، حيث المناخ الدافئ والرطب؛ مما يمكن السكان من كسب معيشتهم عن طريق الزراعة. أما ملابسهم فرقيقة وقصيرة نسبياً، ويتألف أغلبها من قميص علوي مع سروال أو تنورة في الجزء السفلي، وتناسبها مجموعة من الإكسسوارات الفاخرة. وتصنع هذه الملابس عادة من النسيج الخفيف مثل القطن والكتان والحرير. وتشتهر الأقليات بالبراعة بالتطريز والباتيك والكروس ستيتش. إذ تشتهر في أرجاء الصين شعوب يي وياو وتشينغ ومياو بالتطريز، والكروس ستيتش وشعب باي بصباغ القماش المربوط، وشعب بويي بالباتيك. (الصورة 6-8)

الصورة 6-8 تنورة بثنيات أكورديون ترتديها قومية مياو، من متحف الممرات الثلاثة في الصين في شونغ تشينغ

هذه التنورة ذات ثنيات الأكورديون قد تضم ما بين 100 و1000 ثنية عمودية محبوكة على نحو متراص، وترتدي نساء شعوب مياو ويي ودونغ هذا النوع من التنانير للاستخدام اليومي، وهي شائعة في يونان وسيشوان وقويتشو. وترتدي التنورة المعروضة في الصورة نساء المياو في وانغمو في قويتشو، وتزينها الطباعة الشمعية والتطريز.



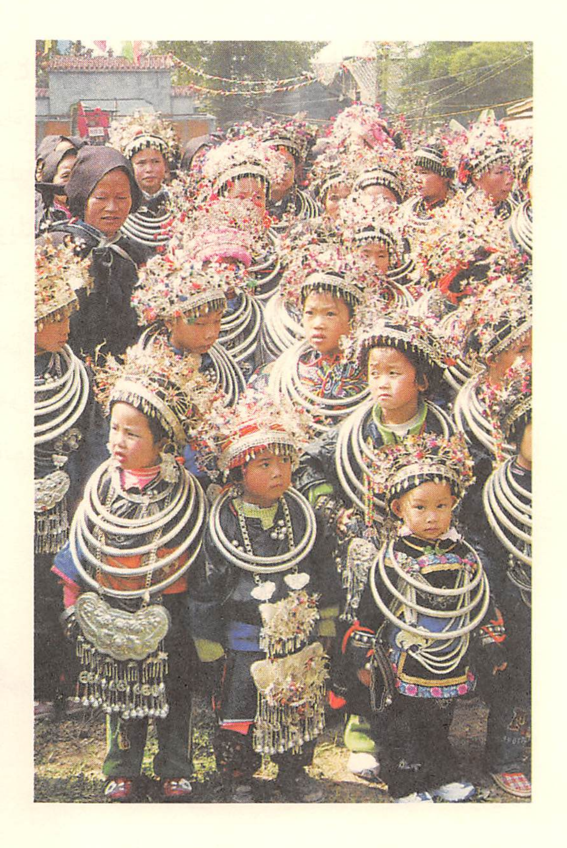


الصورة 6-9 رجل من قومية هاني في يونان

يحب رجال هاني الملابس السوداء، ولذلك يرتدي عادة رجال هاني القاطنون في شيشوانغ بانا في مقاطعة يونان سترة سوداء ذات فتحات أمامية وجانبية، ويستخدمون قطعاً قماشية سوداء لتغطية الرأس. ويوجد على طول الطية والتي تشكل ردة للزينة صفان من الصفائح الفضية أو الأزرار المعدنية الفضية، بينما تزين الحلي الفضية جانبي غطاء الرأس.

ويرتدي الرجال من الأقليات الجنوبية على الأغلب قمصاناً قصيرة بفتحات في المقدمة وسراويل طويلة، ولا تختلف الأزياء الأساسية كثيراً من مجموعة عرقية إلى أخرى. فعلى سبيل المثال، توجد على القميص ذي الفتحات الأمامية في باي الذي يدعى حزام الخان أزرار منسقة؛ حيث يُثبّت كل زرين أو ثلاثة في صف واحد. ويرتدي السكان عادة عدة قمصان في الوقت نفسه. ويعتبر الرجال في هاني ارتداء عدة أحزمة في الوقت نفسه دون تشبيك الأزرار المعدنية الفضية علامة على الغنى؛ إذ تعرض كل طبقة لتظهر الثراء، وللقمصان التي يرتديها رجال مياو في المهرجانات أزرار تشبه الأبواق، وجيوب حمراء مخاطة يدوياً وتناسب لون الأزهار على الخصر، مما يعطيها جمالاً طبيعياً ناجماً عن التناغم. (الصورة 6-9)

وترتدي النساء من الأقليات الجنوبية عادة ثياباً عليها أزرار على الجانب الأيمن، تناسبها تنانير أو سراويل مثل شعب داي وبلانغ ومياو في شيشوانغ بانا، فشعب مياو يرتدي غالباً ثياباً بفتحات مائلة من الأمام إلى الجانبين الأيمن والأيسر؛ لكي يكون طرف الياقة الأيسر فوق الطرف الأيمن (يورين) أو الطرف الأيمن فوق الأيسر (زورين). ورغم ذلك، في المناطق المتأثرة بثقافة هان، ترتدي بعض الأقليات ثياباً عليها أزرار من الجانب الأيمن إما مع ياقة أو بدون ياقة؛ سواء أكانت الياقة من طراز يورين أو زورين. فعلى سبيل المثال وبسبب تأثير الهان في المناطق



الصورة 6-10 الإكسسوارات والملابس القديمة التي يرتديها شعب دونغ

ترتدي نساء دونغ تقليدياً قمصاناً قصيرة بفتحات جانبية، حيث تطرز على طيات الصدر والأكمام رسوم التنين والعنقاء، أو أشكال الماء والغيوم أو الأزهار والنباتات، كما يرتدين أيضاً تنانير قصيرة ذات ثنيات أكورديون، وينتعلن أحذية مزينة بالأزهار ومقوّسة من الأمام، ويضعن على شعرهن المرفوع مشابك شعر فضية أو أمشاطاً أو تيجاناً عليها نقوش للتنين الملتف أو العنقاء الراقصة. أما حول أعناقهن فيلبسن خمس حلقات فضية مختلفة الأحجام، ويضعن على صدورهن خمس سلاسل مع قفل فضي لطرد الأرواح الشريرة، وتُنقش صور التنين والعنقاء والأزهار والطيور والسمك والحشرات على الزينة الفضية؛ مما يجعلها بسيطة ومعقدة في الوقت نفسه.

الشمالية التي يسكنها شعب دونغ، ترتدي النساء ثياباً عليها أزرار على الجانب الأيمن وسراويل طويلة، بينما ترتدي النساء في الجبال الجنوبية على الأغلب ثوباً له فتحات مائلة من الأعلى وتنورة في الأسفل. (الصورة 6-10)

بالإضافة إلى ذلك، ترتدي نساء يي ثوباً عليه أزرار على الجانب الأيمن وذا كمين طويلين، أو سترة ذات كمين قصيرين، وللتنورة ثنيات أكورديون بألوان متنوعة. ولأنه لا توجد ياقة للثوب، يمكن أن تُضاف ياقة قابلة للفصل أو ربطة عنق على شكل عقدة.

ولأن أغلب الأقليات العرقية في الجنوب تعيش بين السلاسل الجبلية حيث يصعب التنقل في المجتمعات المختلفة، طوّرت كل مجموعة أنماطاً مميزة من

الملابس، مما أدى إلى ظهور تنوع غني من الأزياء والإكسسوارات والنسيج. فعلى سبيل المثال، تتنوع ملابس نساء داي كثيراً من منطقة إلى أخرى، فالنساء في شيشوانغ بانا يرتدين ملابس داخلية ملتصقة بالجسم، وقمصاناً قصيرة بدون ياقات وذات أكمام ضيقة، وتنانير طويلة ملونة تُثبتها أحزمة فضية مصنوعة بأسلوب فاخر. وتجعل هذه الملابس مرتديها يبدو أنيقاً وجميلاً. أما النساء في شينغ بينغ ويوان جيانغ اللاتي تتم تسميتهن بهواياو داي فقد كن يرتدين أثواباً قصيرة عليها أزرار أمامية أو على الجانب الأيمن، بالإضافة إلى تنانير سوداء مستقيمة مثبتة على الجانب الأيسر؛ لكي يكون من الممكن رفع حاشية الثوب بمقدار 10 سم لتتمكن النساء من إظهار مفاتنهن الأنثوية، وأحزمة هذه التنانير ملونة، وعليها قطع فضية صغيرة لامعة. (الصورة 6-11)

ولا يقتصر ما ترتديه الأقليات العرقية على الملابس الجميلة المميزة ذات الزينة الغنية، وإنما الإكسسوارات أيضاً مصنوعة بمهارة، وتبدو فاخرة. (الصورة 6-12)

فعلى سبيل المثال، الزينة الفضية المشهورة التي يرتديها شعب مياو مصممة بمهارة، ومصنوعة بتقنية بارعة، وتحمل نماذج تزيينية تعطيها دلالات ثقافية غنية. فقد امتدت المحبة الخاصة التي يوليها شعب مياو للذهب والفضة 400 عام؛ إذ إن أسلافهم كانوا يعتقدون أن الأشياء الحادة يمكنها أن تطرد الأرواح الشريرة، وتعتبر الزينة



الصورة 6-11 فتاة من قومية داي في قرية لونغي في بلدة موشا في مقاطعة شينغ بينغ في يوشي في يونان

ترتدي هذه الفتاة من هواياو داي ثوباً صغيراً من دون ياقة أو طية صدر، وإنما فيه آلاف الحلي الفضية اللامعة على الصدر، والتي تظهر نسقاً متلألئاً. كما ترتدي تنورة ضيقة سوداء حاشيتها السفلى مطرزة بزركشات مخرمة بأزهار ذات ألوان زاهية بين أشكال أمواج البحر، وتعتبر هذه الثياب مترفة وفريدة.



الصورة 6-12 فتيات من قومية يي يعتمرن عرف الديك

عرف الديك قبعة تقليدية تعتمرها نساء يي، وهي ترمز إلى السعادة والحظ الجيد، كما أنها مصنوعة من قماش خشن ومقصوص على شكل عرف الديك ومزين بالأزهار المطرزة والحلي الفضية، مما يجعل معتمرتها تبدو كديك صارخ. وتمثّل القبعة حارساً وفياً يذكر الناس بالنهوض والعمل، كما تمثّل الحلي الفضية القمر والنجوم؛ مما يرسل رسالة بالبركة.

الفضية أفضل شيء يُبعد التأثير الشرير ويمنع الحظ السيئ ويُزيل المواد السامة ويشفي الأمراض ويحمي الروح بعد الموت من أن تؤذيها الشياطين. ولهذا السبب يصنع شعب مياو زينة فضية ويلبسونها، فأغطية الرأس والقلائد ودروع الصدر والخواتم والأساور كلها مصنوعة من الفضة وتتطابق مع المعيار الجمالي التالي: «كلما كانت أكبر وأكثر عدداً وأثقل كانت أجمل»؛ فالقرن الفضي الكبير والشهير الذي يرتديه شعب مياو يمكن أن يكون ارتفاعه بنصف ارتفاع مرتديه، والقرط الفضي الواحد الذي يرتديه أبناء شعب مياو في منطقة شي دونغ في مقاطعة قويتشو قد يزن 200 غرام، كما أن سلسلة القبعات المعدنية الفضية المنقوشة التي يرتديها السكان في منطقة ليبنغ قد يصل وزنها إلى 4 كلغ، بينما تصنع الملابس

الفضية في منطقة نهر تشينغ شوي من مئات القطع مما يظهر جمالاً معقداً، وتشير الأشكال على الحلي الفضية التي يرتديها شعب مياو إلى الساحرات، بالإضافة إلى فكرة الطوطمية الدينية الأصيلة. وهذه هي الصفة الأساسية لكل ملابسهم، ولذلك لا يمكن تغييرها. بالإضافة إلى ذلك، يرتدي العديد من أبناء شعب مياو حلياً فضية على شكل قرون ثور؛ إذ يعتقد شعب مياو أن جاموس الماء مقدس، وقد استعمل تشيو - الجد الأعلى لشعب مياو - قرون ثور. وعلاوة على ذلك، إن الحيوانات والنباتات مثل الفراشات والطيور المغردة والأسماك وأشجار القيقب القديمة، تعتبر أشكالاً طوطمية يعبدها شعب مياو. ولذلك تصوَّر عادة على شكل حلي فضية توضع غالباً على الرأس، وخاصة الشكل المبارك الذي يمثّل تنّينين يلعبان بلؤلؤة، وهو شكل شائع على القرن الفضي الذي تضعه نساء مياو. (الصورة 6-13)

الصورة 6-13 لباس الرأس لقومية مياو

يرتفع القرن الفضي عالياً، وهو عادة مزين بتنينين يلعبان بلؤلؤة وبنقوش بارزة للتنين، كما أنه مزين بالخرز. وتتزين قبعة مياو الفضية بنقوش العديد من الأزهار والطيور والفراشات والحيوانات الفضية، بالإضافة إلى المراوح والأمشاط ودبابيس الشعر والأقراط الفضية. وكلما تحرك مرتديها تهتز المجوهرات المتعددة، مما يُظهر عرضاً لامعاً ومشعاً.



المراجع:

[1] Zang Yingchun. Chinese Traditional Costumes and Ornaments[M]. Beijing: China Intercontinental Press, 2003.

[2] Zang Yingchun. The Women's Garment Pattern Comparison Between China and the West[M]. Beijing: China Light Industry Press, 2001.

[3] Li Dangqi. Arts and Design[M]. Wuhan: Hubei Art Press, 2002.

[4] Li Dangqi. A History of Costume in the West[M]. Beijing: Higher Education Press, 2005.

[5] Shen Congwen. Research into the Ancient Clothes of China[M]. Shanghai: Shanghai Bookstore Publishing House, 1999.

[6] Huang Nengfu, Chen Juanjuan. A History of Chinese Costumes[M]. Shanghai: Shanghai Renmin Publishing House, 2005.

[7] Tang Xianbin. Three-dimensional Cutting V.S. Plane Cutting—a Comparison of Dress Adornment Between China and the West[M]. Beijing: China Textile & Apparel Press, 2002.

[8] Gao Ge. Xishuo Zhongguo Fushi[M]. Beijing: Guangming Daily Press, 2005.

[9] Zhong Maolan, Fan Pu. Chinese Minority Costumes[M]. Beijing: China Textile & Apparel Press, 2006.